التغير فى مجتمع نوبى
(دراسة تتبعية)

د . نجوى عبد الحميد*

أولًا : مقدمة منهجية :

بات التغير الاجتماعى سمة عامة للمجتمعات الإنسانية كافة ، كما أن التغير لا ينصب على جزء أو نسق بذاته من البناء الاجتماعى ، بل يكاد أن ينسحب على كافة الأجزاء ؛ إذ تلاحقت الأحداث والمؤثرات السياسية والاقتصادية فى المجتمع الدولى ، كما كان لثورة الاتصالات ثم التكنولوچيا والهجرة والتعليم دور كبير فعال فى تجاوز الإنسان الحدود المحلية أو الإقليمية ، وقهر الموانع الطبيعية التى ظلت قرونًا طويلة تُباعد وتفصل بين المجتمعات وتعزلها .

ومن هذا المنطلق تضاعفت مهمة العلوم الاجتماعية على نحو عام ، وعلم الأنثروبولوچيا بصفة خاصة من خلال وسائلها المنهجية ، وعلى وجه التحديد بالمعايشة الحية للواقع الاجتماعى بغية رصد ملامحه بصورة أكثر عمقًا[1] .

ويمثل مجال التغير الاجتماعى والثقافى واحدًا من مجالاتها التى أسهمت فيها الأنثروبولوچيا بدراستها الإمبريقية بنصيب وافر لكى تلقى الضوء ، وتكشف

---

* أستاذ الأنثروبولوچيا المساعد بقسم الاجتماع بكلية الآداب - جامعة حلوان .

عن عوامل التغير ودوافعه واتجاهاته ومساراته ، وهذه الدراسة وسيلة فى ذاتها لتحقيق غاية كبرى تكمن فى كيفية الإفادة من هذا التغير الذى حدث فى المجتمعات وللتخطيط لها .

وتبدو أهمية هذه الدراسة عن قرية غرب أسوان فى كونها محاولة لتتبع مظاهر التغير ، ومحاولة الإفادة منه بالتخطيط له ، وعلى المستوى الأكثر اتساعًا ، جاءت هذه الدراسة متسقة مع ما يحدث الآن فى منطقة جنوب الوادى من انطلاقة عجلة التوسع فى الرقعة الزراعية والتصنيع والتحضر ، وما يستتبع ذلك من إنجازات التعمير التى بلغت أقصى سرعة[٢] ؛ وذلك نتيجة لخصوصية المشاريع القومية التى تمت فى منطقة أسوان ، مثل إنشاء (مشروع خزان أسوان – مشروع السد العالى – إلى آخر مشروع : مفيض توشكى) ، فأصبح لزامًا أن يتم الاندماج والتكامل والمشاركة الفعلية بين جميع العناصر السلالية ، والثقافات الفرعية المتمركزة فى منطقة جنوب الوادى عامة ، ومنطقة أسوان خاصة بغية تحقيق هدف قومى أكبر ؛ هو التكامل والوحدة بين العناصر السكانية الموجودة فى هذه المنطقة .

ثانيًا : الهدف من الدراسة :

فى ضوء ما تقدم يمكننا أن نحدد أهداف هذه الدراسة ، وهى كما يأتى :

– محاولة الرصد أو التتبع للتغيرات التى طرأت على طبيعة البناء الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى قرية غرب أسوان .

– تحديد نقطة البدء فى تتبع التغير لهذا المجتمع من دراسة ڤنكلر فى الثلاثينيات من القرن الماضى ، ثم الدراسة التى قام بها قسم الاجتماع بكلية

الآداب جامعة القاهرة تحت إشراف الدكتور محمد الجوهرى فى عام ١٩٧٥، ثم دراسة كاتبة هذه السطور التى أعدتها للحصول على درجة الماچستير فى عام ١٩٨١.

- إلقاء الضوء على العوامل التى أدت إلى حدوث هذا التغير.

- محاولة رصد إسهام بعض الوسائل المنهجية لرصد ظاهرة التغير، ومنها دليل العمل الميدانى، والمعايشة لواقع مجتمع الدراسة لفهم أكثر عمقًا.

- إلى أى مدى يمكن أن يسهم التغير فى تحقيق درجة من التكامل بين الثقافة الفرعية، وثقافة المجتمع الأكبر.

ثالثًا: الإطار التصورى:

تعد هذه الدراسة من الدراسات التتبعية Diachronic study لرصد معالم التغير ومراحله، ويؤكد توشمان Tuchman أن من المقتضيات المنهجية للدراسة التتبعية رصد التطور والتغير؛ بغية التعرف على ملامح التغير الذى سبق للدراسات السابقة فى حينها رصده، ومن خلال ما أتيح للقائم بها من استخدام الوسائل المنهجية الأنثروبولوچية بوصفها دراسة قبلية[٣]، بهذا تصبح دراستنا الحالية (التتبعية) حلقة من سلسلة متصلة من الدراسات تسير فى مسار خطى، نحاول بها استكمال هذه الجهود الإمبريقية، آملين أن نحقق بذلك التراكم المعرفى الذى هو إحدى سمات البحث العلمى المهمة.

أما عن التوجه النظرى، فإن هناك توجهًا نظريًا قد تبنته الباحثة فى عملية جمع المادة الإمبريقية وتحليلها، وذلك من خلال إلقاء الضوء على كل من

مفهومى التغير الاجتماعى والثقافى ، والثقافة الفرعية ؛ من أجل التعرف على مغزاهما ، ولفهم وتفسير أكثر عمقًا .

١- التغير الاجتماعى والثقافى :

يقصد به الدلالة على ظاهرة التحول والنمو والتكامل والتكيف التى يتعرض لها مجتمع ، أو نظام ، أو نسق فى البناء الاجتماعى ، وبعبارة أكثر شمولًا : هو كل تغير غير مقصود أو تغير مخطط ، بحيث يؤخذ فى الحسبان عند دراسته كل من العوامل البشرية وغير البشرية ، مادام الاثنان يتفاعلان بعضهما مع بعض لتحديد حركة التغير[٤] .

ولما كان التغير يمثل حقيقة عالمية لا يخلو منها أى مجتمع إنسانى ، وهو بالتحديد التغير الذى ينبثق عنه انتقالات حضارية ، تؤدى إلى ظهور أنماط جديدة يترتب عليها نتائج اجتماعية وثقافية ونفسية عميقة ؛ وفى ضوء ذلك أصبح لزامًا على الباحثين أن يضعوا ظاهرة التغير فى نطاق البحث العلمى المنظم لتحقيق مزيد من الفهم المتعمق لدينامياته .

ولما كان من المسلمات الأنثروبولوچية الأولية أن التغير الحضارى لا يقتصر على فترة محددة فى تاريخ المجتمعات ، بل يمتد مع وجودها ، فهذا يعنى استمرارية التغير وتوالى تأثيراته على حياة المجتمعات البشرية ، ومن ثم فإنه عند دراسة التغير - كما يشير سملسر Smelser- لا يقتصر الاعتماد على نظرية واحدة ، بل يحتاج إلى عدة نظريات أو ما يطلق عليها نماذج نظرية[٥] .

وفى هذا الصدد يقول ولبرت مور Wlbert E. Moore بأن هناك ثلاثة تصنيفات للنظريات التى درس بها العلماء التغير ، تندرج جميعها تحت عنوان

« الاهتمام النظرى بدراسة التغير »[٦]، على أن يوضع فى الحسبان علم التاريخ عند الدراسة بغية تحقيق فهم وتفسير أكثر عمقًا . ومن هذه النظريات « التطورية الماركسية – الوظيفية » ؛ ففى التراث الأنثروبولوچى هناك إشارة إلى تبنى القدامى من علماء الأنثروبولوچيا – مثل لويس مورجان فى كتابه المجتمع القديم Ancient Society – نظرية ترى التطور الثقافى يمر بثلاث مراحل : (الوحشية – البربرية – الحضارية) .

ثم تبعه فريق آخر يتبنى نزعة المراحل المتناسقة Uniform stages المعروفة بمذهب التطور أحادى الامتداد – Unilinear evolution. ويجمع هذا الفريق الاعتقاد بأن المجتمعات الإنسانية جميعًا اجتازت مراحل التطور (الجمع – الصيد – الرعى – الزراعة – الصناعة) بالتعاقب نفسه ، فقوبل هذا الاتجاه بالرفض من قبل علماء الأنثروبولوچيا والاجتماع المعاصرين[٧] ، ذلك لأنه ليس هناك حقائق قياسية ثابتة تأخذ شكل القوانين تنطبق على تغير كل مجتمع ، وذلك لأن الدراسات المقارنة قد أظهرت وجود تنوع[٨] .

ثم جاء كل من شبنجلر Spengler وتوينبى Toynbee ليروِّجا فرضية مفادها أن التغير يظهر فى صورة حركة دائرية Cyclical، وهنا شبهت الحضارات بالكائنات العضوية من حيث إن هناك دورة حياة تبدأ بميلاد الكائن الحى ، وتنتهى بمرحلة الكهولة فالشيوخة والموت ، وكذلك تنشأ الحضارة ثم تنحدر إلى مرحلة السقوط فالفناء ، ولكن رُفضت هذه الفرضية من قبل الباحثين الأنثروبولوچيين المعاصرين ؛ لتحيزها ولأنها تربط بين التغير والخط التوسعى الاستعمارى[٩] . أما النظريات الماركسية – وبالتحديد نظرية ماركس التاريخية – فإنها تقوم على عنصرين جوهريين فى البناء التحتى ؛ هما أسلوب الإنتاج

وعلاقات الإنتاج ، بينما يمثل كل من النظم السياسية والدينية البناء الفوقى ، كما يمثل التقدم التكنولوچى السبيل للنهوض من أجل استخدام النماذج الجديدة للإنتاج ، علاوة على ظهور طبقات جديدة تسحب القوة السياسية والاقتصادية من الطبقات الموجودة ؛ بمعنى أن تاريخ المجتمعات ما هو إلا تاريخ كفاح طبقة[١٠] . ثم جاء ماكس ڤيبر وواصل المسيرة نحو تحقيق التغير الاجتماعى ؛ حيث جاءت اهتماماته منصبة على النظام الرأسمالى ، ووضع نظريته عن البورجوازية الغربية . وفى النهاية تأخذ الماركسية بفكرة جوهرية هى أن التنظيم الاجتماعى يسير فى درجات متسلسلة ، وأن التغير الاجتماعى تاريخ يعبر عن دوره قوة حتميته على التنظيم الاجتماعى[١١] .

أما أصحاب النظرية الوظيفية - مثل دُركايم - فيرون أن البناء مكون من أجزاء تمثل أنساقًا فرعية ، وأن النسق وظيفى متوازن لديه قابلية للتنبوء بالعلاقات بين المتغيرات .

أما أصحاب النظرية الانتشارية الكلاسيكية فإنهم يولون اهتمامًا بالتغير الثقافى ودراسة المجتمع من حيث الكم والكيف ؛ حيث يعنى الكم ما يتعلق بالعلاقات الإمبيريقية فى المجتمعات ، أما الكيف فيعنى التأثير المقتبس من مجتمع إلى آخر ، ومن ثم فإن التركيز ينصب أساسًا على الكيفية التى تنتقل بها العناصر الثقافية من مجتمع لآخر ، أكثر مما ينصب على النسق الاجتماعى[١٢] . أما الاتجاهات الحديثة فى دراسة التغير فتميل إلى الاعتدال فى تفسيرها ، من حيث إن التغير الذى تتعرض له المجتمعات الإنسانية لا يخضع لقاعدة واحدة ضيقة ، بل تتعدد اتجاهات التغير وفقًا للظروف المحيطة بهذه المجتمعات ، كما يبدو أن

هناك حقيقة جوهرية ينبغى عدم إغفالها ، نظرًا لشدة علاقاتها المباشرة بالسمات الدينامية للثقافة ، ألا وهى خضوع عملية التغير فى المجتمعات الإنسانية لتأثير القيم ، ولعل هذا التعميم قد يمثل أحد الركائز الأساسية فى دراسة التغير فى ميدان الأنثروبولوچيا .

فالقيم الاجتماعية والثقافية والمعايير الأخلاقية فى أى مجتمع نامٍ تمارس ضغطًا على سلوك أعضائه ، من حيث إنها تسهم فى تحديد أسلوبهم فى اختيار المركبات الثقافية الجديدة الوافدة والمستعارة ؛ وهو الأمر الذى يجعلهم يرفضون بعضها ويقبلون بعضها الآخر . على أن ظاهرة الرفض والقبول لا تتفق فى مضامينها الجزئية فى كل المجتمعات الإنسانية على سطح الأرض ، فإن ما ترفضه ثقافة بعض المجتمعات قد يلاقى قبولًا فى ثقافة أخرى فى بعضها الآخر والعكس بالعكس صحيح . ويؤكد بونز فرانز Bonz Franz أن هذا لا يعنى انعدام وجود تشابه فى عمليات التغير الثقافى والاجتماعى ؛ إذ قد يحصل نوع من التطابق فيما تقبله بعض الثقافات والمجتمعات وفيما ترفضه ، ولعل ذلك يرجع إلى تشابه نظم القيم السائدة فيها أو إلى تشابه سياسات الضغط الخارجى [١٣] .

٢- التكامل الاجتماعى والثقافى :

أما الاهتمام الثانى الذى يمليه علينا التوجه النظرى فإنه يتعلق بدرجة التغير التى تسمح بتحقيق قدر من التكامل الاجتماعى والثقافى بين مجتمع الدراسة وجسم المجتمع الأم ؛ ذلك لأن هذا التوجه بدوره سوف يخدم غاية قومية ، ترتبط بخصوصية مجتمع تتعدد فيه الثقافات الفرعية ، وهى الوصول بهم إلى نوع من التفاعل الطبيعى والتكامل بين قطاعاته المتباينة . وعمومًا ، نحن نَعنى

التكامل بمعناه الواسع ؛ أى المبدأ الذى بمقتضاه ترتبط الأجزاء مكونة كلًا واحدًا ، وهو يعنى فى الإثنولوچيا : العلاقات الوظيفية بين العناصر والأنساق الثقافية ، وكذلك بين الثقافة وعوامل أخرى كالطبيعة ، على سبيل المثال . وهنا يفرق سوروكن Sorokin بين التكامل المنطقى الهادف - الذى يميز الثقافة - والتكامل العلمى الوظيفى الذى يميز الأنساق الاجتماعية . أما على المستوى الأكثر تحديدًا فيمكن القول إن البدايات الأولى لمفهوم التكامل الثقافى تعد نتيجة للدراسات الميدانية فى مجتمعات صغيرة متجانسة ، حيث كان تكامل البناء الثقافى الاجتماعى واضحًا لافتًا للنظر ، على الرغم من قول بينيت Bennett إنه « لم يوجه اهتمام كبير إلى روح الحزبية والضغوط الديموجرافية ، وما إلى ذلك » .

ولقد كان سمنر Summner من أول من اهتموا بدراسة التكامل الاجتماعى ، وكان يرى أن التكامل يعنى التعادل الذى يخلق التوازن الاجتماعى الثقافى الذى يؤدى التغير فيه إلى إحداث عملية تكامل جديدة . وكانت نظرة سمنر للدينامية هذه أكثر واقعية من معظم معاصريه من الإثنولوچيين . ولقد رأى أحد الوظيفيين - مالينوفسكى - أن التكامل مبدأ تندرج تحته كل أجزاء الثقافة ، فهو من ثم كامل ، لكن التكامل لا يكتمل على الإطلاق ، وهو ما أدركه سمنر من قبل ووعاه جيدًا علماء الاجتماع من بعده .

ويقول روث بندكت R. Benedict : « إن الثقافة تنحو نحو التكامل ، وإن التكامل يمكن أن يحدث فى مواجهة الصراعات الأساسية » . وقد أبدى بعد ذلك بعض علماء الأنثروبولوچيا الأمريكيون آراء مماثلة ، وقد حاول واحد منهم - هو (كوهين) Cohen - أن يحل مشكلة غير التام ، وذلك عن طريق

التمييز بين (التكامل الوظيفى) ، أو تنظيم أوجه النشاط الضرورية ، و(التكامل المنطقى) أو (الفروض الثابتة) التى تعبر عن القيم والمعتقدات التى ينطلق منها السلوك . ومن ناحية أخرى فإنه يرى أن من لزوميات التكامل الوظيفى ألا ينتج التحقق الكامل للتكامل المنطقى أو ينتج تحققه بدرجات متفاوتة ، وفى ظل ظروف مختلفة »[١٤] .

أما على المستوى الإمبريقى فإننا نقصد من دراستنا الحالية تحقيق قدر أكبر من تكيف الجماعات المتباينة ؛ سلالية وثقافية ، داخل المجتمع الكبير ، وذلك بغية تحقيق نوع من المشاركة الإيجابية فى مختلف الأنشطة المجتمعية والوصول إلى أقصى غاية ؛ أعنى التفاعل الإيجابى ، وفى الوقت نفسه تكون هناك محاولة للوصول إلى نقطة تمكن هذه المجتمعات المحلية من الحصول على خدمات المجتمع الكبير ، والانتفاع به ، على النحو الذى تقره الخطة العامة لتنمية المجتمع الأكبر . ولكن هذا لا يعنى تجاوز الحدود الاجتماعية Boundaries التى نوه بها فردريك بارث عند دراسته الجماعات الإثنولوچية ، وذلك بغية المحافظة بقدر الإمكان على (التشكيلات الثقافية Cultural Cenfiguration التى أشارت إليها روث بندكت التى تسمح بالمحافظة على الترتيب الذى تتخذه السمات الثقافية والعلاقات المتبادلة بينها التى تمنح كل ثقافة طابعًا خاصًا بها[١٥] .

٣- الثقافة الفرعية :

ترجع البدايات الأولى لظهور مفهوم الثقافة الفرعية فى مجال العلوم الاجتماعية إلى دراسة فردريك تراشر Frederic Treasher (فى عام ١٩٢٧) حول عصابات مدينة شيكاغو الأمريكية ؛ حيث يرى أن هذه الجماعات الجانحة

لها تقاليد وقيم ترتبط بتأثير البيئة التى ينشأ فيها أفراد تلك العصابات أو أعضاؤها[١٦].

أما فيما يتعلق بمفهوم الثقافات الفرعية، فقد قدم لنا هاجو ريدنج Hugo F. Reading تعريفًا فى قاموس العلوم الاجتماعية فحواه:

« أن الثقافة الفرعية هى الثقافة الخاصة بالطبقة أو الجماعة الاجتماعية التى تتميز بأنها ثقافة مستقلة ومتغايرة عن الثقافة الكلية، ولكنها لا تتعارض معها، إلى جانب أن هذه الثقافة تعمل على إضفاء صبغة التكامل الكلية للجماعة، خصوصًا إذا ما نظرنا من داخل الجماعة نفسها ». « إن الثقافة الفرعية هى ثقافة تميز نمطًا معينًا من المجتمعات الفرعية »[١٧].

أما فى قاموس الأنثروبولوچيا فقد ذُكر مفهوم الثقافة الفرعية للإشارة إلى مجموعة من السمات والخصائص الثقافية والأنماط السلوكية التى تختص بها جماعة ما أو مجتمع فرعى معين، وهذا لا يتعارض - فى أدائه لتحقيق أهدافه - مع الثقافة الكلية للمجتمع الأكبر، وفى الوقت نفسه فإنها تضفى على أعضائه سمات ثقافية وخصائص محددة لا يختص بها سوى الأعضاء فى تلك الثقافة الفرعية »[١٨].

أما عن كيفية المعالجة النظرية لمفهوم الثقافة الفرعية من جانب باحثى الأنثروبولوچيا الثقافية والعلوم الاجتماعية الأخرى فلابد أن تتم فى ضوء ثلاثة محاور ملزمة.

الأول: ضرورة إبراز فكرتى الثقافة والبناء بوصفهما منظورين أساسيين يعتمدان على فهم سير العلاقات الاجتماعية.

الثانى : ضرورة توضيح الحدود أو الفواصل Boundaries الخاصة بأية ثقافة فرعية .

الثالث : يدور حول ضرورة إدراك المكونات واستمرار التغير فى مستوى الثقافة الفرعية[١٩] .

ومن هذا المنطلق جاء تأكيد كل من ألفرد كروبر وتالكوت بارسونز (فى عام ١٩٥٨) على ضرورة أن يوضع فى الحسبان عند الدراسة إبراز التمايز بين الثقافة والبناء الاجتماعى للجماعة . وعلى الجانب الآخر جاء مايكل كلارك Michael Clarke (١٩٧٤) ليصر على مدى أهمية التمييز بين مفهومى الثقافة الفرعية والبناء الفرعى فى ضوء المعانى الاجتماعية الخاصة التى ترتبط بكل منهما ؛ حيث إن الثقافة الفرعية ترتبط بنسق الأفكار Ideas، بينما يرتبط البناء الاجتماعى الفرعى بالأحداث الاجتماعية أو السلوك ، فى حين ظهر اتجاه ثالث ينادى بضرورة الجمع بين الاتجاهين السابقين ، وكان زعيم هذا الاتجاه هوارد بيكر الذى ينوه بضرورة الربط بين نسق الأفكار التى تتضمن القيم (المعايير) والممارسات التى تشمل سلوك الأشخاص والجماعات داخل الحدث الاجتماعى . كما جاء مالكولم سبيكتور Malcolm Spector فى عام ١٩٧٣، ليضيف اتجاهًا رابعًا لمعالجة الثقافة الفرعية ، من خلال إلقاء الضوء على مستويات الفهم الخاص بأنماط سلوك الجماعة ، خصوصًا ما يرتبط منها بالوظائف الكامنة أو المستترة لسلوك أفراد الجماعة الفرعية[٢٠] .

وخلاصة القول : يقصد بمصطلح الثقافة الفرعية أن هناك جماعة من الناس تشترك فى أنماط متميزة من القيم والمعتقدات ، وتتميز طريقة حياتهم عن الثقافة

الكلية التى تسود المجتمع الأم فى بعض الأنماط السلوكية الخاصة بهم[٢١].

رابعًا : مجتمع الدراسة :

قرية غرب أسوان ، هى إحدى القرى النوبية التابعة لمركز أسوان ؛ تقع على الشاطئ الغربى للنيل فى مواجهة مدينة أسوان ، وتبعد عن القاهرة بحوالى ٩٠٠ كم .

ولقد وقع الاختيار على قرية غرب أسوان لتكون موضع الدراسة الحالية ؛ وذلك يرجع إلى أن هذه القرية كانت محورًا لاهتمام الباحثين الأجانب والمصريين ، ففى الثلاثينيات من القرن الماضى جاءت أول محاولة لدراستها على يد الباحث الألمانى هانز ڤنكلر ؛ حيث وقع الاختيار عليها ضمن العينة المختارة التى بلغت ثلاثًا وعشرين قرية ومدينة ، بوصفها ممثلة للمناطق الثقافية المصرية بهدف إنشاء أول أطلس فولكلورى .

أما على المستوى الأكاديمى ، فقد قام قسم الاجتماع بآداب القاهرة – تحت إشراف د . محمد الجوهرى – بإجراء دراسة تهدف إلى تدريب طلاب القسم بشكل إمبريقى على البحث الأنثروبولوچى ، كما تهدف إلى عمل دراسة واقعية لأحد المجتمعات المحلية المصرية المتميزة فى نطاق الثقافة المصرية المعاصرة وكان ذلك فى عام ١٩٧٥ .

أما المحاولة الثالثة فقد قامت بها كاتبة هذه السطور عند إعدادها لرسالة الماچستير ، حيث كانت القرية واحدة من ثلاثة تجمعات سكانية فى منطقة أسوان .

يضاف إلى هذا خبرة الباحثة ومعرفتها السابقة بهذا المجتمع ، وهو ما يُعَدّ

ميزة منهجية ؛ حيث إن ذلك يسهم فى اختصار زمن الدراسة الميدانية .

خامسًا : قرية غرب أسوان محور اهتمام الباحثين الأجانب والمصريين :

بالرجوع إلى أدبيات علم الأنثروبولوچيا وعلم الفلولكور وجدنا من الدراسات السابقة التى تناولت قرية غرب أسوان دراسة العالم الألمانى هانز ڤنكلر ، ثم دراسة قسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم رسالة الماچستير لكاتبة هذه السطور . وسوف نتناول فى السطور التالية عرضًا لهذه الدراسات السابقة على التوالى .

الدراسة الأولى : محاولة هانز ڤنكلر :

يشير تراثنا الأنثروبولوچى إلى وقوع قرية غرب أسوان فى حيز النسيان من جانب الباحثين من الأجانب والعرب ، فى حين أن القرى النوبية الأخرى (قرى التجهبر) قتلت بحثًا ، لكن التاريخ لا يغفل حق أول محاولة لدراسة قرية غرب أسوان على يد الباحث الألمانى هانز ڤنكلر فى الثلاثينيات من القرن الماضى ، حيث وقع اختياره على قرية غرب أسوان ضمن العينة المختارة التى بلغت حينذاك تقريبًا ثلاثًا وعشرين قرية ومدينة ، بوصفها ممثلة للمناطق الثقافية المصرية ، بهدف إنشاء أول أطلس فولكلورى ، وفى الحقيقة لم يجئ اختيار العالم الألمانى ڤنكلر لقرية غرب أسوان عشوائيًا ، بل سبق هذا الاختيار دراسة موسعة على مصر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها ؛ من أجل الوصول إلى تحديد المناطق الرئيسية للثقافة الشعبية المصرية (مناطق الفلاحين والبدو وأشباه البدو) ، كما لوحظ أن من مبررات اختياره قرية غرب أسوان اعتقاده الشديد الذى وضح فى أقواله فى كتاب الفولكلور المصرى الذى يقول فيه : « ومن الجنوب تعرض وادى

النيل ، ولا شك ، لمؤثرات نوبية منذ أقدم العصور حتى الآن » .

وبناءً على ذلك فإن هذه القرية تمثل منطقة ثقافية متميزة ، نظرًا لتوافر بعدى المكان والزمان معًا ، وهذا هو الأساس الذى اعتمد عليه ڤنكلر عند اختيار المناطق موضوع الدراسة المتعمقة ، ومن ناحية أخرى فإنها تعرضت للمؤثرات الثقافية والهجرات البشرية إلى جانب اندماج بعض العناصر النازحة على أهل المنطقة الأصليين (قبائل بنى ربيعة وجهينة) ، الذين قدموا إلى مصر أيام الفتح الإسلامى ، واستقروا فى منطقة أسوان ، وأطلق عليهم الكنوز نسبة إلى قائدهم الذى تصدى حينذاك لحركات التمرد وأخمد الثورات فلقبه الحاكم الإسلامى بلقب كنز الدولة ، ومنذ ذلك الحين لقب السكان الذين ينتمى إليهم أهل قرية غرب أسوان ببنى كنز ، لكنهم تعرضوا فيما بعد لهجرات نوبية ، قادمة من جنوب السودان ، فاستمرت تسميتهم بالرغم مما تم من اختلاط النوبيين بالكنوز[٢٢] .

ومن جهة أخرى تميزت هذه القرية بتركز عناصر موضوعات الدراسة فيها ، وهى الثقافة المادية والثقافة الروحية ، وإن كان ڤنكلر قد أكد فى كتاب الفولكلور المصرى صعوبة دراسة الجوانب الروحية بالنسبة للعينة المختارة للدراسة . ومن أهم العناصر الثقافية المادية التى لاحظها ڤنكلر فى دراسته قرية غرب أسوان :

١- **أدوات العمل المنزلى** : مثل الطاحونة والأفران والسلال الملونة .

٢- **أدوات العمل** : المنشار الضخم الذى يستخدمه عاملان - السفن المصنّعة والسفن التى مازالت تصنع - المحراث - الجمال - الجاموس .

٣- **المنزل النوبى** : الذى يتميز بالشكل المستطيل ويستخدم فى بنائه

الطوب اللبن ، أما الأسقف فتأخذ شكل القباب المطلية بالجبس الأبيض ، وهو منزل يتميز بالاتساع .

٤- موروفولوچية القرية :

تأخذ الشكل المستطيل على طول ضفة النيل الغربية ، ويحفها الجبل من الجانب الغربى .

٥- أدوات الزينة الخاصة بالنساء :

الوشم لتزيين الوجه - الملابس المستخدمة التى تتزين بالأهداب الملونة - تطريز سراويل الرجال .

والملاحظ أنه على الرغم من الجهد المتميز الذى بدأ مبكرًا من الباحث الألمانى هانز ڤنكلر ، الذى يمثل فى حينه خطوة بمثابة لبنة فى صرح المنهج الأنثروبولوچى اهتدى بها الباحثون فى المراحل الزمنية التالية عليه ، فإنه تبدو الدراسة فى شكلها مونوجرافية ، شأنها شأن كثير من الدراسات التى تميز مرحلة من مراحل المنهج الأنثروبولوچى (٢٣) .

الدراسة الثانية بعنوان : بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان - دراسة أنثروبولوچية لأحد المجتمعات النوبية (١٩٧٥) :

قام قسم الاجتماع بآداب القاهرة - فى شتاء ١٩٧٣ (نشرت عام ١٩٧٥) - بدراسة لقرية غرب أسوان ، تحت إشراف د . محمد الجوهرى - بهدف كان له بعدان :

الأول : إتاحة الفرصة أمام عدد من طلاب قسم الاجتماع للتدريب عمليًا

على البحث الأنثروبولوچى .

الثانى : الدراسة العملية لأحد المجتمعات المحلية المصرية المتميزة التى تقع فى نطاق الثقافة المصرية المعاصرة ، من حيث إنه واحد من المجتمعات الهامشية التى يرجع انتماؤها السلالى إلى أقلية عنصرية ولغوية من السكان ، منعزلة مكانيًا نسبيًا عن تيار الحياة الرئيسى فى قلب الوطن .

ومن ثم فإن دراسته ما هى إلا محاولة لفهم خصائص البناء الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى يساعد ولا شك على تنميته من جهة ، والعمل على مزيد من التكامل مع المجتمع الأكبر ، وقد عكست الدراسة ملامح تيار المنهج الأنثروبولوچى ، وبدا ذلك واضحًا من تقسيم أجزاء الدراسة ، حيث روعى فيها العوامل المتنوعة التى تسهم فى إحداث التغير ؛ كالعوامل الجغرافية والتاريخية والبيئية ، وهو ما سيتضح لنا من عرض موضوعات الدراسة .

لقد قسمت الدراسة إلى أربعة أجزاء ؛ فخصص القسم الأول لدراسة الملامح العامة للقرية ، متضمنًا ما يأتى : لمحة تاريخية - السكان - العلاقة مع المجتمع الخارجى - الخدمات والمرافق العامة .

الجزء الثانى : يدور حول النشاط الاقتصادى من حيث النشاط الزراعى وأهم المحاصيل ، وأدوات العمل الزراعى ، والثروة الحيوانية ، والنشاط التجارى ، والصناعات التقليدية ، والنقل والمواصلات .

الجزء الثالث : وصف لمورفولوچية المسكن النوبى ، والمواد المستخدمة فى البناء ، وأشكال زينة المنزل النوبى .

الجزء الرابع : خصص للعادات والتقاليد الشعبية ؛ مثل عادات الميلاد – تنشئة الطفل – عادات الزواج – الأعياد الشعبية . ومن الملاحظ أن الدراسة الأولى التى قام بها هانز فنكلر قد أغفلت كثيرًا من الأبعاد التى أولتها الدراسة التى أشرف عليها د . محمد الجوهرى اهتماماتها ؛ ومنها : العوامل الجغرافية ، والتاريخية ، والبيئية ، بوصفها تبدو كالوعاء الذى تنصهر فيه تفاعلات التغير الاجتماعى والثقافى[٢٤] .

الدراسة الثالثة : دراسة أنثروبولوچية لنظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة فى منطقة أسوان :

قامت بهذه الدراسة كاتبة هذه السطور فى الفترة من ١٩٧٥– ١٩٨١ لنيل درجة الماچستير . وقد قسمت الرسالة إلى أربعة أبواب تضم اثنى عشر فصلًا . وعلى الرغم من أن الموضوع يتناول القرابة ، وقد يبدو غير وثيق الصلة بعمليات التغير الاجتماعى الثقافى ، فإن مقتضيات المنهج بشكله المتطور تطلّبت من الباحثة مناقشة الموضوع فى سياق بنائى وظيفى ، وبذلك تم تناول نسق القرابة ومناقشته ، وعلاقاته بكافة الأنساق الأخرى ، وهو على النحو الآتى :

دراسة للجماعات القرابية : فتناولت الباحثة بالعرض والتحليل أنماط الجماعات القرابية فى قرية غرب أسوان ؛ وهى (الأسرة النووية – الأسرة الممتدة – الأسرة المشتركة – البدنة) .

دراسة لأنماط العلاقات الأسرية : علاقة الابن بالوالدين – الأم بالأبناء – الإخوة والأخوات .

أسس تصنيف القرابة : كما ركزت الدراسة على إبراز ما هو شائع من

مصطلحات القرابة الدموية وغيرها من المصطلحات التصنيفية، لتوضيح نوع القرابة من جهة الأب، ومن جهة الأم، إلى جانب وجود مصطلحات خاصة بقرابة المصاهرة.

دراسة بنائية لوظيفة القرابة: تحقيقًا للهدف من الدراسة حاولت الباحثة تعرّف طبيعة النظام القرابى، فقامت بدراسة العلاقة بين نظام القرابة والنظم الاجتماعية الأخرى، وهى كما يأتى: علاقة القرابة بنظام الزواج - القرابة وعلاقتها بالنظام السياسى - القرابة والنظام الاقتصادى - علاقة القرابة بالضبط الاجتماعى. ثم ختمت الدراسة بفصل النتائج الذى يشير إلى ميل القرية إلى التغيير التدريجى فى بعض الجوانب، وميلها للثبات النسبى فى الجوانب الأخرى. وهو ما يتضح لنا فيما يأتى:

السكـان: تشير نتائج التعداد إلى أن هناك زيادة فى عدد السكان من ٣٦٣٣ نسمة عام ١٨٦٠ إلى ١٢٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٦.

قطاع المرافق والمواصلات: تتطور وسائل المواصلات، حيث توجد سيارات، وعبارات نهرية، كما تكثر الطرق التى تصل القرية بالقرى المجاورة والنجوع بعضها مع بعض[٢٥].

سادسًا: الوسائل المنهجية:

لقد اعتمدت الدراسة على وسائل المنهج الأنثروبولوچى، الذى يحتم ضرورة معايشة المجتمع حتى يتوافر للباحثة الملاحظة المباشرة المتعمقة، إلى جانب اعتماد الباحثة على دليل العمل الميدانى الذى قامت بإعداده، فى ضوء ما تم الاطلاع عليه من التراث وأدبيات علم الأنثروبولوچيا، وكذلك مناهج البحث

والدارسات التى سبقت هذه الدراسة . وقد راعت الباحثة فى إعداد دليل العمل الميدانى الجديد أن يلتزم بالموضوعات نفسها التى سبق أن درست فى الدراسات السابقة ؛ حتى يتسنى لها تحقيق الضبط المنهجى وتحقق الشروط اللازمة للمقارنة ؛ لملاحظة مظاهر التغير وتتبعه ، ثم تدوين تلك المظاهر ، إلى جانب الرجوع إلى السجلات الإحصائية والتعدادات الخاصة بهذه القرية ؛ لمتابعة ما حدث من تغيرات فى النواحى الكمية .

ولقد استغرقت هذه الدراسة قرابة أربع سنوات غير متصلة من أغسطس ١٩٩٣ إلى يناير ١٩٩٨.

وقد افترضت الباحثة أنه لكى يمكن رصد ملامح التغير الذى طرأ على مجتمع قرية غرب أسوان أو تتبعه ، ودراسة مدى إسهام هذا التغير فى تحقيق درجة من التكامل أو عدم التكامل بين قرية غرب أسوان والمجتمع الأكبر ، لا بد من العودة إلى الموضوعات التى سبق أن ركزت عليها دراسة محمد الجوهرى ؛ حتى يتسنى للباحثة رصد ملامح التغير والثبات ، وهى كما يأتى :

* الملامح العامة لقرية غرب أسوان .
* النشاط الاقتصادى للقرية .
* بعض جوانب الثقافة النوبية (عادات الميلاد ، والزواج ، والموت ، والمعارف ، والمعتقدات ، والأعياد الشعبية) .

سابعًا : الملامح العامة لقرية غرب أسوان :

١- الموقع : تقع قرية غرب أسوان على الشاطئ الغربى للنيل مواجهة لمدينة

أسوان ، وهى إحدى قرى مركز أسوان . تبعد عن القاهرة حوالى ٩٠٠ كم ، ويبلغ طولها حوالى ٤ كم، ويحدها من الشمال قرية بنبان، ومن الغرب الصحراء الغربية ، ومن الشرق نهر النيل ، ومن الجنوب مقابر النبلاء ومقبرة أغاخان .

٢- المناخ : تتشابه قرية غرب أسوان من حيث المناخ مع مناخ مدينة أسوان ؛ نظرًا لوقوعها على خط عرض ٢٤ شمالاً ، وخط طول ٣٢ شرقًا ؛ أى أنهما يدخلان ضمن النطاق الصحراوى الذى يتميز بالتفاوت الملحوظ بين درجات الحراراة ، فيما بين فصلى الشتاء والصيف ، وفيما بين الليل والنهار[٢٦] .

٣- الجهاز الإدارى : يرأس القرية جهاز يتكون من العمدة الذى يتم انتخابه ، وعادةً ما يكون من بين أعضاء قبيلة الونساب ، نظرًا لكبر حجمها بالنسبة لبقية القبائل بالقرية . ويعاون العمدة ثمانية من المشايخ ، وكان عددهم من قبل أربعة مشايخ فقط ، ويشترط فى تعيينهم أن يكون أحدهم من قبيلة الونساب ، أما بقية العدد ، فعادة ما يختار من بين القبائل الأخرى فى مجتمع البحث ، إلى جانب ذلك فهناك عشرة خفراء نظاميون ، ويساعد هذا الجهاز المجلس القروى[*] على تحقيق الأمن فى المجتمع .

٤- المجلس الشعبى المحلى للقرية : يتكون من عشرين عضوًا ، على أن يكون أحدهم بالانتخاب الفردى ، ونظرًا لأن نطاق المجلس الشعبى المحلى لقرية غرب أسوان يتكون من قريتين هما : قرية غرب أسوان (القرية الأم) ، وقرية الكوبانية ؛ فعادة ما يتم انتخاب رئيس المجلس ووكيله من القرية الأم التى بها مقر المجلس ،

(*) المجلس الشعبى المحلى : طبقًا للقانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٩ الخاص بنظام الإدارة المحلية وتعديلاته استبدلت بعبارتى المجلس المحلى والمجالس المحلية عبارتى المجلس الشعبى المحلى والمجالس الشعبية المحلية .

على أن يكون أحدهما - على الأقل - من العمال أو الفلاحين ، أما بقية الأعضاء فيتم اختيارهم من القرى الأخرى التابعة للمجلس ، وعددهم ثمانية عشر عضوًا يختصون بالإشراف والعمل فى قطاعات الخدمات المختلفة بالمجلس (مياه - صحة - كهرباء - تعليم ... إلخ) .

- يتكون المجلس من اثنين وعشرين نجعًا(*) ؛ حيث كان عدد النجوع لا يتجاوز ثمانية عشر نجعًا ، لكن الزيادة السكانية وما ترتب عليها من التوسع العمرانى أسهما فى زيادة أربعة نجوع أخرى جديدة .

انظر الجدول رقم (١) حيث يوضح لنا أسماء النجوع بالقرية وعدد سكان كل نجع[٢٧] .

الجدول رقم (١) أسماء النجوع وسكانها

م	اسم النجع	عدد الشوارع	عدد السكان
١-	نجع القبة	٥	٥٥١
٢-	نجع الجعلاب	٦	٥٣٢
٣-	نجع المعوضاب قبلى	٢	٣٤٩
٤-	نجع المداب	١٠	٩٨٢
٥-	نجع الحمداب	٣	٣٧٩
٦	نجع الشديد	٤	٦٠٤
٧-	نجع الغلالاب	٥	٧٣٢
٨-	نجع القرطباب	٢	٣٣٣

(*) يقصد بمصطلح نجع - وحدة مكانية وقرابية .

تابع الجدول رقم (١) أسماء النجوع وسكانها

م	اسم النجع	عدد الشوارع	عدد السكان
٩-	نجع الشيخ دياب	٢	٣٩٧
١٠-	نجع المعوضاب بخرى	٣	٤٣٤
١١-	نجع الجرانيس	٥	٦٥٣
١٢-	نجع الأرخباب	٢	٣٢١
١٣-	نجع الحمدلاب	٥	٤٨٦
١٤-	الحجاب	٤	٣٢٧
١٥-	أبو عيس	٤	٤٢٥
١٦-	الفرس	٣	٢٧٠
١٧	السدر	٤	٦١١
١٨-	الخيرلاب	٤	٥٤٥
١٩-	بغدلاب	٣	٣٧٦
٢٠	بسيون	٤	٣٨٤
٢١-	البليدة	٦	٣٥٢
٢٢-	الشيخ حمد	١	١٨

يتضح لنا من الجدول رقم (١) ميل القرية إلى التغير فى حيزها المكانى بالامتداد العمرانى ؛ فبعد أن كان عدد نجوع القرية ثمانية عشر حتى عام ١٩٨١، وصل مع أوائل التسعينيات إلى ٢٢ نجعًا ، ويرجع ذلك التغير إلى زيادة معدل الزيادة الطبيعية فى السكان ، وإلى خصوصية النسق الأيكولوچى المميز للقرية ؛ الذى يسمح بالامتداد العمرانى .

السكان :

كما يوجد بمجتمع البحث خمس قبائل تمثل حوالى ٩٠٪ من سكان القرية . وتتباين هذه القبائل من حيث الحجم والمكانة الاجتماعية ، وهى على التوالى :

١- قبيلة الونساب ، وتشمل حوالى ٤٠٪ من سكان مجتمع القرية .

٢- قبيلة الغلالاب ، وتشمل حوالى ٢٠٪ من سكان مجتمع القرية .

٣- قبيلتا المعوضاب والحجاب، وتشملان حوالى ١٥٪ من سكان مجتمع القرية.

٤- قبيلة المداب ، وتشمل حوالى ١٠٪ من سكان مجتمع القرية .

٥- أما سكان القرية الباقون (١٥٪) فيتوزعون فيما بين قبائل صغرى من حيث الحجم ، وهى قبائل القرطاب ، والسهرباب ، والديوداب [٢٨] .

الأصل السلالى :

يرجع الأصل السلالى لسكان المجتمع النوبى إلى الكنوز ، وهى إحدى القبائل العربية المهاجرة منذ الفتح العربى (قبيلة بنى ربيعة وبعضها من قبيلة جهينة) ، وقد اختلطت فى آخر الدولة الأيوبية بالنوبيين ، فقد أسفرت نتيجة المعارك عن انتصار الأيوبيين على بنى كنز (*) ، فأدى ذلك إلى مغادرة الغالبية العظمى منهم أسوان إلى شمال النوبة وتركزهم فى منطقة المريس ، ثم اختلاطهم بالنوبيين ، وبمرور السنين اندمجت هذه القبائل فتأثرت اللغة العربية لبنى كنز ، أى لم تعد لغة سليمة كما كانت من قبل ، إلى جانب أنهم تعلموا اللهجة النوبية

(*) ترجع تسمية النوبيين بالكنوز إلى سلالتها التى ترجع إلى الجنس السامى والبعض الآخر للجنس الحامى .

وتحدثوا بها ، وهى التى عرفت فيما بعد باللهجة الكنزية[٢٩] .

أما بالنسبة للأقلية التى لم تغادر أسوان فإنها تبعثرت فى قرى أسوان ونواحيها ، وأصبح لا نفوذ لها على القبائل العربية الأخرى ، فعلى المستوى الأكثر قدمًا تشير الدراسات التاريخية إلى تحول منطقة أسوان عبر العصور الوسطى إلى مسرح لتجمع عناصر سكانية كثيرة متباينة . وهناك من يرجع أصول تلك السلالة إلى الجنس السامى والبعض الآخر يرجعها إلى الجنس الحامى ، وبناءً على ذلك فقد أصبح الهرم السكانى لمنطقة أسوان يشمل عددًا من العناصر السكانية .

وترجع تسمية النوبيين الكنوز إلى أحد القواد من قبيلة بنى ربيعة التى قدمت إلى مصر بعد الفتح الإسلامى ، ثم سكنت بمناطق البجة جنوب الصحراء الشرقية والمنطقة حول أسوان ، واستطاع هذا القائد - الذى يلقب (بأبى المكارم هبة اللّه) - القضاء على الشغب والاضطراب والقبض على مثيرى الشغب المتمردين على حكم الحاكم بأمر اللّه ، فكافأه بأن أنعم عليه بلقب (كنز الدولة) فصار كل أبناء بنى ربيعة من بعده يحملون هذا اللقب ، حتى بعد اختلاطهم بالنوبيين واستخدامهم اللغة النوبية ، فعرفوا باسم الكنوز[٣٠] .

وتشتمل بلاد النوبة على ثلاث جماعات هى الكنوز أو (الماتوكى) والعرب ، والنوبيون (أو الفاديجا) .

يقيم النوبيون فى القسم الجنوبى ، وتشير دراسة السيد حامد « النوبة الجديدة » إلى أن لفظ الكنوز يشير إلى مكانة اجتماعية أقل ، فى حين أن إطلاق لفظ النوبيين على الفاديجا يشير إلى علو المكانة الاجتماعية . ونظرًا لهذا الخلط حول لفظ الكنوز ، فإن الباحثة فى دراستها الحالية حين تتحدث عن مجتمع

البحث تفضل أن تستخدم عبارة (قرية غرب أسوان أو مجتمع الدراسة) .

يضاف إلى هؤلاء وأولئك الوافدون من بعض المدن الإسلامية ؛ مثل التكارنة ، والعبيد ، والمماليك ، والمسلمين المهاجرين من الأندلس ، والأتراك[٣١] .

تأسيسًا على ما سبق يمكننا أن نستخلص التركيب السلالى لقرية غرب أسوان وهو على النحو الآتى :

أ- **النوبيون** : ويضمون القبائل العربية وعناصر نوبية من بنى الكنوز .

ب- **عناصر نوبية نقية** : وهى تضم النوبيين الذين وفدوا من القسم الجنوبى لبلاد النوبة القديمة فى شكل هجرات ، واستقروا بالقرية ، ولكن لا يمثلون الأغلبية .

جـ- **عناصر مختلطة** : وهى تضم عبيدا مهاجرين ذوى أصول وملامح زنجية واضحة . ويقول محمد الجوهرى : إن من الملاحظات الجديرة بأخذها فى الحسبان عند دراسة غرب أسوان أن نلاحظ قدرة الثقافة النوبية على امتصاص الهجرات المتعددة التى وفدت إليها ثم تمثلتها ومنحتها دمًا ولغة وعادات وتقاليد . وليس أدل على ذلك من أن النوبيين اعتنقوا الإسلام ، وأخذوا عن القبائل العربية (بنى ربيعة وجهينة) اللغة العربية التى ارتبطت بممارسة الشعائر الدينية اليومية ، ثم تم إدماجها إدماجًا كليًا فى الهيكل الاجتماعى النوبى التقليدى[٣٢] .

أما على المستوى الإمبريقى فتشير نتائج الدراسة الميدانية الحالية إلى خصوصية الثقافة النوبية التى سمحت لأعضاء مجتمعها بممارسة الازدواجية فى أسلوب حياتهم اليومية ، ويتجسد ذلك فى حرص النوبيين حاليًا على التحدث

باللغة العربية القريبة فى مخارج ألفاظها إلى اللهجة الصعيدية المنتشرة فى جنوب الوادى . ويظهر ذلك بالتحديد عند اتصالهم بأهالى مدينة أسوان ، سواء على المستوى الرسمى وغير الرسمى . أما بالنسبة لمعاملاتهم الخاصة وعلاقاتهم داخل القرية ، فإنهم يتمسكون بالتحدث باللغة النوبية التى تعرف (بالماتوكى) ، ويحرصون حرصًا شديدًا على تنشئة أطفالهم بالتحدث بها داخل القرية[٣٣] .

كما كشفت لنا نتائج دراستنا فى مرحلة الماچستير أن نظام الانتساب السائد هو الانتساب الأبوى الذى من أهم سماته انتساب الأبناء إلى الأب ، وهو ما يترتب عليه أن يكون نظام الإقامة (السكنى) فى مسكن الأب أو بالقرب منه ، وعلى الرغم من ذلك فإن الواقع الإمبريقى كشف عن خلاف ذلك ؛ حيث نلاحظ أن هناك استمرارًا لسمات الانتساب الأمومى الذى يظهر فيه سيادة سلطة الخال على أبناء أخته ذكورًا وإناثًا ، ويتجسد فى الأخذ برأى الخال من حيث قبول العريس المتقدم لابنة الأخت أو رفضه ، إلى جانب أنه المفوض فى استلام مهرها حتى فى حالة وجود الأب ، إلى جانب استمرارية سكن الشاب بعد زواجه مع أهل زوجته (الإقامة الأمومية) لفترة طويلة ، وكل ذلك مما يؤكد سيادة نظام الانتساب الأمومى فيما بين النوبيين قبل الفتح الإسلامى[٣٤] .

والخلاصة : أنه على الرغم مما تسمح به الثقافة النوبية من ازدواجية ؛ فإن النوبيين ما زالوا حريصين حتى الوقت الحاضر على الحفاظ على الهوية النوبية ، وذلك من خلال حرصهم الشديد على عدم الاختلاط مع أى جنس من الأجناس عبر العصور المختلفة . ومن جهة أخرى أسهم موقع القرية على الضفة الغربية للنيل فى ازدياد بعدها وعزلتها النسبية ، حتى انعكس ذلك على احتفاظ

الثقافة النوبية بالثبات النسبى لبعض العادات والتقاليد ، إلى جانب بعض سمات الطابع العمرانى النوبى حتى وقت إجراء الدراسة الحالية فى التسعينيات من القرن الماضى ، وإن كانت الدراسة الحالية قد كشفت عن وجود مؤشرات للتغير الذى نال من بعض العمران النوبى ، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل عند الحديث عن « البيت النوبى » .

ويقدر عدد سكان القرية فى ضوء آخر تعداد تقديرى للوحدة المحلية لقرية غرب أسوان ١٩٩٦- ١٩٩٧ بحوالى ١٣٤٣٢ نسمة ، فى حين يبلغ عدد سكان القرية الأم « غرب أسوان » حوالى ثلثى العدد ؛ أى حوالى ٨٩٥٥ نسمة . أما قرية الكوبانية فتقدر بحوالى الثلث ؛ أى ٤٤٧٧ نسمة .

ويوضح الجدول رقم (٢) معدل الزيادة السكانية لقرية غرب أسوان ، بينما يوضح الجدول رقم (٣) توزيع السكان حسب فئات النوع .

الجدول رقم (٢) - معدل الزيادة السكانية لقرية غرب أسوان

سنة التعداد	عدد السكان	الزيادة بين التعدادات	نسبة الزيادة	معدل الزيادة السنوي
١٩٦٠	٣٦٣٣	--	--	--
١٩٦٧	٨٠٠٠	٤٣٦٧	٪١٢٠	٪٦,٢
١٩٧٦	١٢٠٠٠	٤٠٠٠	٪٥٠	٪٤,١
١٩٨٦	٩٩٩٩	٢٠٠١	٪١٦,٦	٪٢,٠
١٩٩٦-١٩٩٧	١٣٤٥٥	٣٤٥٦	٪٣٤,٦	٪٣,٥

إذا دققنا النظر فى بيانات التعداد فى الجدول رقم (٢) سنلاحظ أن هناك تذبذبًا فى معدل الزيادة السكانية ؛ ففى عام ١٩٦٧ وصل المعدل السكانى إلى

٦,٢٪ تقريبًا ، فى حين أخذ المعدل فى الانخفاض فى الأعوام التالية ، فوصل فى عام ١٩٧٦ إلى ٤,١٪ ، وفى عام ١٩٨٦ إلى ٢٪، ثم عاد المعدل تارة أخرى إلى الارتفاع فى عام ١٩٩٧ ليصل إلى ٣,٥٪. ويرجع هذا الاضطراب أو التذبذب فى معدل النمو السكانى إلى مجموعة عوامل تعرض لها مجتمع الدراسة عبر العصور التاريخية ، وفى الوقت الحاضر . نذكر من هذه العوامل : الهجرة ؛ فمنذ عام ١٩٦٧ تعرض المجتمع لهجرة أسر أعضائه المقيمين فى محافظات القناة بسبب العدوان الإسرائيلى ، ثم بعد ذلك توالت الهجرة لتأخذ طابع الطرد والبحث عن العمل فى مدينة أسوان وبقية عواصم المحافظات . هذا على المستوى المحلى . ومع بداية السبعينيات من القرن الماضى اتجهت الهجرة إلى الدول المنتجة للنفط . أما على المستوى الأكثر تحديدًا فإن انخفاض معدل الزيادة السكانية يؤكد مدى نجاح خطط تنظيم الأسرة وبرامجها فى القرية ، نتيجة لزيادة معدل الاتجاه نحو التعليم من جانب الذكور والإناث ، وهو ما يساعد بدوره على زيادة الوعى بأهمية تنظيم الأسرة اتفاقًا مع السياسة الإنجابية التى تدعو إليها الدول .

أما فى الجدول (٣) الخاص بتوزيع السكان حسب النوع لقرية غرب أسوان ، فسنلاحظ أن هناك انخفاضًا فى نسبة الذكور التى تقدر بحوالى ١,٢٪ ، أما معدل زيادة الإناث فيصل إلى ١,٦٪. ويرجع سبب ارتفاع معدل نسبة الإناث فى مجتمع الدراسة إلى ارتفاع معدل الهجرة فيما بين الذكور لمن هم فى سن العمل بالمدن ومحافظات ج . م . ع ، كما يرجع إلى السفر إلى الخارج بهدف العمل فى الدول العربية .

الجدول رقم (٣) - توزيع السكان حسب النوع

اسم القرية	تعداد ١٩٨٦			تعداد تقديرى في يناير ١٩٩٧				
	ذكور	إناث	الجملة	ذكور	إناث	الجملة	متوسط الزيادة	النسبة المئوية
غرب أسوان	٤٧٧٤	٥٢٢٥	٩٩٩٩	٦٤٢٢	٧٠٣٣	١٣٤٥٥	٣١٤	٣,٤٪

الخدمات :

١- التعليم : لقد أسهم موقع القرية فى حرمانها من الخدمة التعليمية ، وهو ما أدى إلى ارتفاع معدل الأمية بين سكانها ، حيث تقدر بحوالى ٩٥٪. ولكن مع بداية الستينيات من القرن الماضى بدأت القرية تشهد زيادة فى معدل المتعلمين يقدر بحوالى ٥٪، وذلك لتغير اتجاهات الأهالى وحرصهم على تعليم أبنائهم الذكور وحدهم ، بإرسالهم إلى المدارس فى مدينة أسوان حتى مرحلة الإعدادية (فنى - معلمين - تجارى) . ومع أواخر الستينيات تم إنشاء أول مدرسة بنجع القبة ؛ نظرًا لسهولة المواصلات التى تصل هذا النجع بمدينة أسوان ، حيث كان المدرسون جميعهم من أبناء أسوان ، وكانوا ينتقلون إلى القرية للقيام بالعملية التعليمية لأبناء غرب أسوان ؛ نظرًا لأن القرية تتبع أسوان إداريًا .

وفى أواخر السبعينيات تم إنشاء مدرستين للمرحلة الابتدائية بنجعى الشيخ دياب والحمدلاب . ونظرًا لحرص أهالى القرية وإقبالهم على الإفادة من هذه الخدمة لتعليم أبنائهم بغية الحصول على شهادات تؤهلهم للعمل الحكومى ؛ سمح الأهالى لأبنائهم الذكور والإناث معًا - بعد الانتهاء من استكمال المرحلة الابتدائية داخل القرية - بالانتقال بوساطة « المعدية » يوميًا إلى مدينة أسوان للالتحاق بمدارس المرحلة الإعدادية ، ثم الثانوية (عام - فنى - معلمين) .

ولكن فى ظل زيادة مظلة الخدمة التعليمية على مستوى ج . م . ع حظيت القرية بنصيبها من هذه الخدمة القومية ، فتم إنشاء مدرسة للمرحلة الإعدادية ثم لمراحل التعليم الثانوى والفنى والأزهرى [انظر جدول رقم (٤)] .

الجدول رقم (٤) ، يوضح الخدمة التعليمية بالقرية

المرحلة التعليمية	عـــدد المدرسين			عدد الفصول	عدد المدرسين		عـدد التلاميـذ	
	١٩٧٦	١٩٨٦	١٩٩٦		ذكور	إناث	ذكور	إناث
التعليم الابتدائى	١	٣	٤	٢٣	٣١	٥٦	٣٥٣	٤١٠
التعليم الإعدادى	–	١	٢	١٢	١٧	٢٠	٢٩٢	٣٨٩
التعليم الأزهرى الابتدائى	–	١	١	٥	٩	٦	١٩٥	٢٠٠
التعليم الثانوى الفنى	–	–	١	٣	٧	٥	–	٩٢
المرحلة الجامعية (مدينة أسوان)	–	–	–	–	–	–	٣	٢

الجدول رقم (٥) ، يوضح توزيع سكان القرية حسب الحالة التعليمية

اسم القرية	أمـــى		يقرأ ويكتب		أقل من المتوسط		متوســط		فوق المتوسط		جامعى	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
غرب أسوان	٢٠٣	٤٠٥	١٣٠٧	١٢٦٥	١٣٨٨	١٣٣٧	١٠٤٩	٧٠٩	٦٦	٢٦	٥٣	٧

ومن دراسة الجدولين ٤، ٥ يتضح زيادة مساحة الخدمة التعليمية بحيث شملت جميع مراحل التعليم الأساسى والمتوسط ، كما تشير أيضًا إلى زيادة نسبة من أفادوا من هذه الخدمة من أبناء القرية ذكورًا وإناثًا ، فترتب على ذلك انخفاض معدل الأمية وزيادة معدل القادرين على القراءة والكتابة .

والخلاصة : يمكننا القول بأن مؤشرات التغير بدأت تتبلور بوضوح من خلال

مظلة الخدمة التعليمية ، من حيث زيادة المؤسسات باختلاف المراحل ، وزيادة عدد المتعلمين وقلة نسبة الأمية . ومما لا شك فيه أن هذه الخدمة قد ساعدت على تخفيف حدة العزلة المكانية للقرية ، وهو ما ينعكس من قريب ومن بعيد على زيادة ترحيب أعضاء القرية بالتعامل مع الغرباء ، إلى جانب زيادة اتصال أبنائها بأبناء مدينة أسوان فى مجالات شتى ؛ كالتعليم ومجالات العمل الحكومى ، ومجال السياحة ، والنشاط التجارى بالأسواق .

ب- الصحة :

تشير معطيات الدراسة الميدانية الحالية إلى اتجاه أعضاء مجتمع القرية نحو الطب الرسمى جنبًا إلى جنب مع الطب الشعبى . فقد تكونت لدى الأجيال الشابة من الذكور والإناث من أعضاء المجتمع معلومات حول أسباب المرض ، وبعض أعراضه ، كما درسوها فى مناهجهم الدراسية فى مرحلتى التعليم الإعدادى والثانوى ، فى حين نجد أن جيل الأجداد والآباء مازالوا يعتقدون أن المرض يرجع إلى أسباب من بينها السحر والجن وضربة الشمس . ولقد كان يوجد فى السبعينيات وحدة صحية ، وكانت وظيفتها تقتصر على الإسعافات الأولية ، لكنها كانت تعد خدمة ميتة ، وذلك يرجع إلى عدم انتظام حضور الطبيب المختص ولا المساعدين (الممرضين) ، إلى جانب نقص الكثير من التجهيزات الطبية .

ولقد لاحظت الباحثة أثناء الدراسة الميدانية وجود نوع من مؤشرات التغير ظهر فى طبيعة الخدمة الصحية ، من حيث قيام المجلس المحلى بعمل ترميمات شاملة لمبانى الوحدة الصحية والمعمل ، إلى جانب قيامه بإنشاء حجرات إضافية

وتزويدها بالأسرة ، وإنشاء جراج لسيارات الإسعاف ، كما تم تأسيس معامل للتحاليل الطبية ، إلى جانب تدعيم مراكز تنظيم الأسرة وإلحاقها بجمعيات تنمية المجتمع بقرى الوحدة ، وذلك لضمان استمرارية الخدمة طوال ٢٤ ساعة ، حيث إن رئيس جمعية تنمية المجتمع ومعاونيه جميعهم من أعضاء القرية ، على عكس ما كان عليه الوضع ، حيث كان معظم أعضاء الجهاز الطبى قادمين من القرية . (انظر الجدول رقم (٦) الذى يوضح الوضع الراهن لقطاع الخدمة الصحية بالقرية) .

الجدول رقم (٦)

الوضع الراهن لقطاع الخدمة الصحية بقرية غرب أسوان وتوابعها

اسم القرية	مستشفى فردى	وحدة صحية	صيدلية	خدمة تنظيم أسرة	عيادة أسنان	عيادة خارجية	عدد الأطباء	عدد الممرضين	سيارات إسعاف
غرب أسوان	١	١	١	٢	١	٢	٢	٧	١
الكوبانية	١	١	–	١	–	–	١	–	١

وبالرغم مما يشير إليه الجدول رقم ٦ من حدوث تغير وتحسن فى قطاع الخدمة الصحية بقرية غرب أسوان عما كان من قبل ؛ فإن الباحثة لاحظت – أثناء معايشتها مجتمع الدراسة – أن معظم أهل القرية يلجأون إلى مدينة أسوان لطلب الاستشارة الطبية من الأطباء المتخصصين ، ولإجراء العمليات الجراحية ومعالجة الأسنان فى مستشفى أسوان العام والعيادات الخاصة والمستشفيات الاستثمارية . ويرجع ذلك – من وجهة نظر الباحثة – إلى ارتفاع معدل الزيادة السكانية ، وهو مما جعل قطاع الخدمة الصحية بالقرية عاجزًا عن تقديم الخدمة

لجميع السكان ، بالإضافة إلى ما كشفت عنه المعايشة من نقص الإمكانات من أدوية وأجهزة طبية بالوحدة الصحية ، إلى جانب عدم انتظام حضور الأطباء اليومى إلى القرية ، بل قد تصل عدد مرات حضور الطبيب إلى مرتين فقط على مدى ٣٠ يومًا .

جـ- الشئون الاجتماعية :

من اللافت للنظر كثرة الجمعيات الخيرية الأهلية بمجتمع الدراسة على مدى نجوعها، وغالبية هذه الجمعيات تكرس جهودها للقيام بالأعمال الخيرية وتقديم كافة صور المساعدات المعنوية والمادية فى الظروف المفاجئة (الوفاة - الحريق) وفى المواسم والأعياد لأصحاب الحالات الخاصة (المرض - العجز - اليتم) .

وتعتمد معظم هذه الجمعيات على الجهود الذاتية من حيث مصدرها المالى الذى يقوم على تجميع الاشتراكات من أعضاء كل نجع ، وجمع التبرعات من الأعضاء القادرين . وقد كشفت الدراسة الميدانية عن نجاح الجهود الأهلية فى سد احتياجات القرية اعتمادًا على العمل الخيرى . وذلك يرجع إلى عدم وجود جهة حكومية تختص بتقديم المساعدات بالقرية ، لكن هذا لا ينفى أن بعض هذه الجمعيات تعتمد فى مساعداتها على الشئون الاجتماعية بمدينة أسوان ، ولكن هذا يكون فى أضيق الحدود .

ومع بداية الثمانينيات نقلت هذه المهام إلى المجلس القروى ، ومع ذلك لا زال هذه الجمعيات تؤدى دورها فى وظيفة التضامن والتماسك الاجتماعى ، من خلال استمرار اجتماع أعضاء كل نجع فى أوقات الفراغ ليتجاذبوا أطراف الحديث وأخبار النجع ، وكثيرًا ما يعقد بمقر هذه الجمعيات مجالس للصلح فيما

بين الأطراف المتنازعة ، سواء الأفراد والأسر .

وقد شهد المجتمع مؤشرات التغير فى وظيفة الجمعيات الخيرية بعد نقلها ليكون الإشراف للوحدة الاجتماعية التابعة للوحدة المحلية بالقرية ، فقد اتسعت دائرة برامج الإصلاح الاجتماعى الخيرى ، وأخذت تقوم على أساس علمى موضوعى من أجل توسيع قاعدة من يفيدون من ذلك ، من خلال حصر الحالات الأسرية المحتاجة للمساعدة ، ثم عمل بحث اجتماعى متعمق لتحديد نوعية الخدمة اللازمة . وقد أخذت هذه الخدمة حاليًا صورًا عدة :

أ- تقديم معاشات للمسنين .

ب- تقديم إعانات موسمية .

جـ- تقديم إعانات فى شكل قروض للأسر المنتجة .

د- تقديم خدمات ؛ مثل إنشاء دور الحضانة للمرأة العاملة ، وفصول التقوية لتلاميذ المدارس ، وفصول تحفيظ القرآن الكريم ، وأخرى لمحو الأمية للبالغين ، وخدمات تنظيم الأسرة .

كما تشير بيانات المجتمع المحلى إلى نوعية المشاريع المقدمة فى قرية غرب أسوان ؛ مثل مشروع الأسرة المنتجة (٩ حالات صندوق ، ٦ حالات زراعات شاطئية ، ٤ حالات منحة هولندية) . انظر الجدول رقم (٧) الذى يوضح قطاع الخدمات التابع للشئون الاجتماعية .

الجدول رقم (٧) ، يوضح قطاع الخدمات التابع للشئون الاجتماعية

اسم القرية	وحدة اجتماعية	جمعية تنمية المجتمع	جمعية رعاية أمومة	دور حضانة
غرب أسوان	١	١٤	١	١٠

د- قطاع التموين والتجارة الداخلية :

كانت ومازالت مدينة أسوان المنفذ والسوق التجارى الأساسى الوحيد لتصريف منتجات القرية من الخضروات والمحاصيل الموسمية (البلح والتمر) ، إلى جانب أنها أيضًا تمثل السوق الذى يشبع حاجات أعضاء المجتمع من جميع السلع الاستهلاكية والمعمرة .

على أن من مؤشرات التغير ما يشير إلى أن بعض هذه الخدمات قام بتوفيرها المجلس القروى الآن فى المجتمع ؛ انظر الجدول رقم (٨) .

أ- المؤسسات الخاصة بتوفير السلع :

الجدول رقم (٨) ، يوضح أنواع الأنشطة بالقرية

اسم القرية	مجمعات استهلاكية	جمعيات فئوية	بقالة تموين	محلات بقالة	مخبز بلدى
غرب أسوان	١	٢	٣	١٤	-

ب- مؤسسات النشاط التجارى :

اسم القرية	خردوات	ورش نجارة	ورش لحام	ورش كاوتش	منجد	حلاقة
غرب أسوان	٢٢	٣	٤	٤	١	١

على الرغم من وجود فرع لجمعية الأهرام والجمعيات الفئوية فقد كشفت الدراسة الميدانية عن أن دورها انحسر لوجود تجارة التموين بقرى

الوحدة، ووجود ورش صغيرة للحام الكاوتش والنجارة، وأكشاك ومحلات للبقالة.

هـ- قطاع المرافق:

أ- مرفق الكهرباء: كانت غرب أسوان - كغيرها من قرى الريف المصرى - محرومة من خدمة الكهرباء، بل كانت تعتمد فى إضاءة المساكن على النظام التقليدى (لمبات الجاز والفانوس)، وتظل شوارعها مظلمة طوال الشهر باستثناء الليالى القمرية.

ولكن مع بداية عام ١٩٦٩ بدأت الكهرباء تدخل القرية باستخدام مولدات الديزل، ثم تم فى عام ١٩٧٥ إدخال التيار الكهربائى باستخدام المحولات وأعمدة الإنارة لكافة النجوع وذلك من محطة خزان أسوان، ومع بداية التسعينيات تم تغطية كافة النجوع - بما فيها النجوع الحديثة - بالتيار الكهربائى.

الخلاصة:

إن مجتمع غرب أسوان يعتمد حاليًا على مصدرين للكهرباء؛ الأول: من محطة محولات قرية الأعقاب، والثانى: من مدينة أسوان، مرورًا بجزيرة أسوان، ثم إلى أول نجع (الفية جنوب القرية)؛ انظر الجدول رقم (٩).

الجدول رقم (٩) يوضح عدد المحولات وعدد أعمدة الإنارة الموجودة بالقرية

اسم القرية	محولات كهرباء	أعمدة الجهد المنخفض	أعمدة الجهد المتوسط	عدد المشتركين
غرب أسوان	١٧	١٠٩٩	١١٠	٢١٠٠

ب- المياه :

مازال نهر النيل يمثل المصدر الرئيسى لمياه الشرب بالقرية ، بالرغم من وجود الآبار الإرتوازية . ولكن كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن أن استخدامها يكون فى أضيق الحدود ؛ نظرًا لشدة ملوحتها . أما عن المياه النقية فتشير بيانات الوحدة المحلية إلى أنها متوافرة بكل نجع ، بوساطة ما تم تنفيذه من محطات الترشيح الذاتية التى مصدرها مياه نهر النيل ، حيث توجد الآن ثلاث محطات ويجرى العمل لإنشاء محطة رابعة . انظر الجدول رقم (١٠) .

الجدول رقم (١٠) ، يوضح مصادر المياه النقية بالقرية

اسم القرية	محطة إرتوازية	محطة ترشيح ذاتى	شبكة مياه
غرب أسوان	١	٢	٢

جـ- قطاع الشباب والرياضة :

لم يحظ قطاع الشباب والرياضة باهتمام المسئولين قبل نظام المحليات ، بل كان الشباب فى غرب أسوان يعتمدون فى ممارسة أنشطتهم الرياضية على ما يتم فى حصص الألعاب فى أثناء اليوم الدراسى ، ثم توجه طاقات الشباب بعد انتهاء اليوم المدرسى إلى الذهاب إلى الحقول لمساعدة أهاليهم فى العمل الزراعى الخاص بالأسرة ، أما فى المناسبات والأعياد والليالى القمرية فعادة ما تقام مباريات كرة القدم (الشراب) فيما بين كل شباب كل نجع على حدة .

ولكن بعد دخول نظام المحليات أولى هذا القطاع الاهتمام والرعاية ، من خلال تخصيص ميزانية خاصة من مديرية الشباب والرياضة بالمحافظة (الصندوق

الاجتماعى) ، وتجسد ذلك فى إنشاء عدد من الأندية ومراكز الشباب بها ملاعب مفتوحة ، إلى جانب إحلال بعض الأجهزة وتجديد بعضها . انظر الجدول رقم (١١).

الجدول رقم (١١) ، يوضح نوعية الخدمات فى قطاع الشباب

اسم القرية	أندية	عدد المشتركين	مراكز شباب	عدد المشتركين	ملاعب قدم	ملاعب سلة	ملاعب كرة طائرة
غرب أسوان	٢	٥٠٠	٢	٧٥٠	٢	٤	٤

د- قطاع التليفونات والبريد :

تشير بيانات المجتمع المحلى إلى حرمان القرية من خدمة البريد والتليفون حتى عام ١٩٦٣، باستثناء خط التليفون الداخلى الموجود فى منزل العمدة لتبليغ إشارات وزارة الداخلية الخاصة بالأمور الأمنية ، ولذا كان لزامًا على أهل القرية إذا أرادوا الاتصال بذويهم - سواء داخل ج . م . ع أو خارجها - الانتقال إلى مدينة أسوان . ومع بداية عام ١٩٦٣ أنشئ أول مكتب بريد بالقرية ، أما فيما يخص الخدمة التليفونية فظل الوضع على ما هو عليه حتى بدايات الثمانينيات من القرن الماضى حين بدئ فى تركيب أول « سويتش » طاقته ٢٥ خطًا آليًا ، ثم تلاه فى التسعينيات تركيب سنترال إلكترونى طاقته ٤٠٠ خط . (انظر الجدول رقم ١٢) .

الجدول رقم (١٢) يوضح الخدمة التليفونية والبريدية بالقرية

اسم القرية	سنترال حكومى		سنترال	عدد المشتركين		مكتب بريد
	عدد	الخطوط	أهلى	أهلى	مصالح	
غرب أسوان	١	٤٠٠	١	٦٣٠	١٤	١

هـ- قطاع الأوقاف :

تشير نتائج الدراسات السابقة عن القرية إلى قوة الاتجاه الدينى لدى أفراد القرية ، وهو ما يتبدى فى إنشاء مساجد وزوايا بالجهود الذاتية ، حتى بلغ عددها حوالى ٦ مساجد وزوايا ، ولكن بدخول نظام المحليات بالقرية حظى هذا القطاع بالاهتمام الحكومى (وزارة الأوقاف) ، ويتمثل ذلك فى إنشاء مساجد حكومية وزوايا ومراكز لتحفيظ القرآن الكريم ، ثم تم تدعيمها بالأئمة والوعاظ اللازمين لإدارتها ، للقيام بالاحتفالات الدينية داخل مجتمع القرية ؛ مثل الاحتفال الدينى بليلة رؤية هلال شهر رمضان ، وصلاة العيدين ، والمولد النبوى ، وأول العام الهجرى الجديد . (انظر الجدول رقم ١٣) .

الجدول رقم (١٣) ، يوضح منشآت وزارة الأوقاف بالقرية

اسم القرية	مسجد حكومى	مسجد أهلى	زاوية	ضريح	مركز لتحفيظ القرآن الكريم
غرب أسوان	٢	٦	٢	٤	٢

و- قطاع الصرف الصحى :

لم تحظ قرية غرب أسوان - لا فى الماضى ولا فى الوقت الحالى - بنظام شبكات الصرف الصحى ، فهى فى ذلك مثل غيرها من قرى الريف المصرى ، أما نظام الصرف السائد أو المعمول به فى قرية غرب أسوان فهو النظام التقليدى (عمل خزانات داخل كل منزل) . وتشير نتائج الدراسة الميدانية الحالية إلى وجود نوعين من الخزانات فى مجتمع الدراسة :

الأول : حفرة عميقة فى باطن الأرض (ما بين ٣ إلى ٥ أمتار) ، ويتم بناؤها من الداخل (أى تبطينها) بالطوب الأحمر والأسمنت من جميع الاتجاهات ، ويتم التخلص من المخلفات بواسطة عمليات النزح ، بالاستعانة بالسيارات أو جرارات الكسح .

النوع الثانى : يتم بناؤه باستخدام الحجر الجيرى ، ليسهل عملية تسرب مياه الصرف ، بحيث تتبقى المواد الصلبة التى يتم التخلص منها بطريقة النزح اليدوى ، وهذا النظام التقليدى المعمول به هناك يعتمد أساسًا على فكرة التسرب لمياه مخلفات الصرف إلى مياه النيل ، وذلك راجع إلى خصوصية موروفولوچية الأرض فى مجتمع الدراسة ، من حيث تميزها بالارتفاع عن مستوى مياه مجرى النيل بحوالى (١ – ٣ أمتار) ، وهذه النتيجة جاءت متسقة مع نتيجة دراسة أجريت على المحافظات الواقعة فى جنوب الوادى حول كيفية تصريف مخلفات الصرف الصحى فى القطاع الريفى بالتحديد ، فجاءت نتائج هذه الدراسة لتؤكد أن نظام الصرف الصحى السائد فى معظم قرى جنوب الوادى يعتمد على نظام الخزانات (البيارات أو الترنشات) التى تعتمد على تسرب مياه الصرف الصحى إلى مياه النيل[٣٦] .

ومن ثم فإن مثل هذه النظم التقليدية والعادات السلوكية السائدة تمثل أحد العوامل التى أسهمت فى إحداث التلوث البيئى فى منطقة جنوب الوادى . وبناءً على ما تقدم من نتائج ترى الباحثة ضرورة مناشدة المسئولين على المستويين المحلى والقومى ، للنظر فى مثل هذه المشكلة ، خصوصًا للقرى الواقعة بجوار نهر النيل ، وذلك بالعمل على إدخال نظام شبكات الصرف الصحى الذى أصبح يشكل

الآن ضرورة ملحة لإنقاذ بيئتنا وأنفسنا من أضرار التلوث .

ز- قطاع الأمن :

تتبع قرية غرب أسوان مركز شرطة مدينة أسوان ، لذا لا يوجد بها نقطة شرطة ، بل يوجد نظام العمدية ، ويعاون العمدة كل من شيخ البلد والخفراء (المقيمين فى المجتمع) المعينين من قبل وزارة الداخلية . إلى جانب ذلك فإن نتائج الدراسات السابقة - التى اتسقت مع نتائج الدراسة الحالية - تشير إلى استمرارية وظيفة نظام القرابة فى المحافظة على عملية التوازن الداخلى واستتباب الأمن والضبط الاجتماعى فيما بين نجوع القرية وتقسيماتها القرابية ، وذلك من خلال سيادة نظام مجلس العرب واستمراره فى حل جميع المنازعات التى قد تنشب فيما بين الأعضاء أو النجوع . لذا فإن مجتمع البحث كان - وما زال - غير محتاج إلى هذه النوعية من الخدمات المقدمة من مدينة أسوان[٣٧] ، بل إن الثقافة النوبية عامة - بما فيها مجتمع الدراسة - تأخذ بمبدأ الاكتفاء الذاتى الذى تدعمه قيمة التماسك القرابى فى توفير الخدمة الأمنية لأعضاء مجتمعها ، وذلك يمثل واحدًا من الميكانيزمات الثقافية النوبية التى تسعى للمحافظة على الهوية النوبية وتحقيق تميزها عن غيرها من الثقافات الفرعية الأخرى داخل الثقافة المصرية .

ثامنًا : النشاط الاقتصادى :

١- الزراعة :

تشير الشواهد الميدانية إلى أن هناك مؤشرات إلى ميل مجتمع الدراسة إلى التغيير ، وبصفة خاصة فى النشاط الاقتصادى ، وذلك بظهور أنشطة اقتصادية أخرى جديدة جنبًا إلى جنب مع الأنشطة الاقتصادية التقليدية ؛ التى كان

ومازال يشتهر بها النوبيون عامة بما فيها مجتمع الدراسة ؛ وهى : (الأعمال الخدمية على مستوى عواصم المدن الكبرى – الأنشطة المعاونة فى مدينة أسوان – نشاط الزراعة – التجارة) .

كما لوحظ دخول شكل حديث من أشكال التقنيات إلى جانب التقنية القديمة الملازمة لإنجاز الأنشطة التقليدية ؛ مثل (الجرار الزراعى ، وآلة رفع المياه) .

وبعبارة أكثر تفصيلاً ، لم تعد قرية غرب أسوان – كما كانت فى الستينيات والسبعينيات – قرية زراعية خالصة ، بمعنى أن النشاط الزراعى يمثل الحجر الأساسى والعمود الفقرى فى نظامها الاقتصادى ، بل تضافرت مجموعة من العوامل والظروف بعضها يرجع إلى عوامل خاصة بالظروف البيئية والطبيعية للقرية ، وبعضها الآخر يرجع إلى عوامل مجتمعية ، بحيث ساعدت جميعها – من قريب ومن بعيد – على إحداث التغيير وقبول المجتمع للأنشطة الاقتصادية الجديدة . ومن هذه العوامل نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى :

أ– العوامل الطبيعية والبيئية المسببة لتغير الأنشطة الاقتصادية :

أسهم كل من موقع القرية بالضفة الغربية لنهر النيل والخصائص المورفولوجية لطبيعة أرضها (التى سبق تناولها فى موضوع سابق) فى جعل القرية ذات خصوصية دون غيرها من القرى النوبية الأخرى ، فقرية غرب أسوان محصورة من جهة الغرب بالجبال ومساحات على امتداد البصر من الصحراء ، بحيث يتعذر معه محاولة الاستصلاح والتوسع الأفقى .

وقد تسبب ارتفاع أراضى القرية – وبالتبعية الأراضى الزراعية – عن مستوى

منسوب مياه النيل فى خلق صعوبة يستحيل معها زيادة الأراضى الزراعية بعيدًا عن نهر النيل ؛ بحكم أنه يمثل المصدر الرئيسى لتوفير مياه الرى بالمجتمع . ويتفرع من النيل ترعة تعرف باسم ترعة الجنابية ، تبدأ مع بداية حدود القرية شمالاً وتنتهى إلى جهة الجنوب ، ويعتمد الأهالى عليها فى عملية الرى بالقيام برفع المياه من المنسوب المنخفض (نهر النيل) إلى المنسوب الأعلى (الحيازات الزراعية بالقرية) ، بالطرق اليدوية التقليدية (باستخدام الشادوف أو السواقى التى تدار بالماشية) . وإن كانت نتائج الدراسة الحالية أظهرت دخول أساليب تكنولوچية حديثة للرى بالقرية متمثلة فى استخدام (مواتير كهربائية) لرفع مياه نهر النيل ، ولكن مازال هذا الاستخدام محدودًا مقصورًا على الحيازات الزراعية القديمة ، كما لوحظ أن هذه المواتير ملك لأصحاب الحيازات الزراعية الكبيرة والمتوسطة بالقرية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن عزم هذه المواتير مازال مقصورًا على رفع كميات كبيرة من المياه اللازمة لاستصلاح الأراضى الصحراوية ، بغية التوسع الأفقى وزيادة الحيازة الزراعية بالقرية ؛ حتى تتلاءم مع معدل الزيادة الطبيعية لسكان مجتمع الدراسة . انظر الجدول رقم (١٤) .

الجدول رقم (١٤) ، يوضح حجم الحيازة الزراعية بالقرية

السنة	حجم الحيازة بالفدان المزروع	الحيازة « البور »
١٩٥٠	١١٠٠	١٥٠
١٩٦٥	١٣٤٧	٣٩٠
١٩٧٥	١٠٥٦	٣٩٠
١٩٩٦- ١٩٩٧	١٠٩٩	٣٥٢

يتضح من الجدول رقم (١٤) أن هناك مؤشرات إلى زيادة فى الحيازة الزراعية فى الفترة من عام ١٩٥٠- ١٩٦٥ تقدر بحوالى ٢٤٧ فدانًا، وذلك راجع - طبقًا لبيانات المجلس المحلى - إلى أنه تم فى عام ١٩٥٥ تركيب طلمبة ميكانيكة تعمل بالسولار ذات جهد عالٍ، أسهمت فى رفع كميات كبيرة من الماء، ساعدت فى تحقيق التوسع الأفقى باستصلاح مساحات جديدة من الأراضى الصحراوية وضمها إلى الحيازة القديمة. ولكن بدأ تناقص الحيازة الزراعية فى الفترة من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٥ يقدر بحوالى ٢٩١ فدانًا؛ بسبب كثرة أعطال طلمبة المياه وتوقفها عن رفع المياه لفترات طويلة، بالإضافة إلى زيادة الجهد وطول فترات الاستخدام وعدم الوعى باستخدامها وصيانتها بصفة دورية، وهو ما تسبب فى نقص المياه الذى أدى بدوره إلى تبوير حوالى ٣٩٠ فدانًا، ثم عاد بعدها نظام الرى على ما كان عليه عام ١٩٥٠، وهو استخدام الأدوات التقليدية فى الرى.

ولكن بحلول ١٩٩٦- ١٩٩٧ عاد الاتجاه لزيادة الحيازة الزراعية، وإن كانت غير كبيرة؛ إذ تقدر بحوالى ٤٣ فدانًا؛ وذلك بسبب الاتجاه نحو استصلاح الأراضى البور بالقرية بسبب دخول تقنية حديثة (مواتير كهربية لرفع المياه)، ولكن يلاحظ أن هذه المواتير ملك للأفراد وليس للمجلس، ومن ثم أخذ الاستصلاح الطابع العائلى، وهو مما جعل مجمل الزيادة فى مساحات الاستصلاح ضعيفة. ومن ناحية أخرى، هناك مجموعة من العوامل تضافرت لكى تجعل عملية استصلاح الأراضى البور تسير بمعدل بطىء؛ هى :

- انخفاض منسوب مياه نهر النيل بعد بناء السد العالى (السدة الشتوية،

السدة الصيفية) تسبب فى حدوث أعطال كثيرة فى طلمبة رفع المياه ، بل توقفها عن أداء عملها لفترات طويلة .

- عدم توافر فنيين بالقرية ليقوموا بعمليات الصيانة والإصلاح للأعطال المتكررة وعمليات المتابعة والتجديد .

- اعتماد معظم أصحاب الحيازات على الرى التقليدى ، فأصبح الجهد المبذول شاقًا وقاصرًا على نطاق الحيازات القديمة وحدها ، وغير قادر على القيام بتوفير مياه بكميات كبيرة تساعد فى عمليات زراعة الأراضى البور واستصلاحها أو الإسهام فى استصلاح أراضٍ جديدة .

- كما كشفت الدراسة الميدانية عن صعوبة عمليات استصلاح الأراضى الصحراوية وارتفاع تكلفتها بالنسبة لإمكانات الفرد الواحد أو إمكانات أهالى القرية مجتمعين ، وحتى إذا حدث استصلاح فلن تتجاوز المساحة بضعة قراريط ، وذلك لما تتطلبه عملية استصلاح الأراضى الصحراوية من عناصر مختلفة منها :

١- توفير الأموال اللازمة للاستصلاح .

٢- توفير الأيدى العاملة للقيام بعدد من العمليات ؛ مثل : التسوية ، وتنظيف الأرض من الزلط والحصى ، ونقل كميات من الطمى أو الطفل لخلطها بالتربة الصحراوية ، وعمليات الغسل للتخلص من أملاح التربة ، وشق قنوات أو ترع لتصريف مياه الغسل والصرف الزراعى ، وإضافة السماد البلدى ، وإعادة تقليب الأرض ، والقيام بزراعتها بمحاصيل ذات خصوبة عالية بغية تقويتها وإكسابها مزيدًا من الخصوبة مثل (الفول - الترمس) .

٣- توفير كميات من مياه الرى للقيام بالمراحل السابقة طوال العام .

٤- توفير تكنولوچيا حديثة للرى بدلاً من الأساليب التقليدية .

٥- توفير فنيين من أهالى القرية للمشاركة فى عمليات الصيانة الدورية .

الخلاصـــة : تأسيسًا على ما سبق سنلاحظ أن عمليات التوسع الأفقى فى مجتمع غرب أسوان فى حاجة ماسة إلى التدخل الحكومى بالتعاون مع الأهالى ، عن طريق نظام المشاركة الشعبية وتطبيق نظام التعاونيات ، أى بعبارة أخرى هناك حاجة ماسة إلى توعية أهالى القرية بأهمية تبنى اتجاه لإنشاء جمعيات تعاونية تتولى القيام بعمليات استصلاح الأراضى ، وذلك من خلال مشاركة أهالى القرية بأنفسهم فى إدارتها بالجهود الذاتية ، والمشاركة فى شراء أسهمها لتوفير المال اللازم لشراء أدوات رفع المياه ، وشراء الأسمدة ، وتوفير أجور العمال الزراعيين ، وهذا يتفق مع ما تشير إليه أساليب التنمية الحديثة التى تعرف بالتنمية المستدامة[٣٩] .

ب- عوامل مجتمعية :

كشفت بيانات الدراسة الميدانية الحالية إلى مؤشرات للتغير فى حجم السكان ، وذلك راجع إلى مجموعة من العوامل ؛ منها :

أ- تعرض القرية لهجرات النوبيين إليها منذ أوائل القرن العشرين على فترات هى (١٩٠٢- ١٩١٢- ١٩٣٣- ١٩٣٤) ، بسبب بناء خزان أسوان الذى تسبب فى إغراق جميع القرى الواقعة خلف الخزان ، إلى جانب هجرة أهالى قرية الجزيرة المجاورة لمجتمع غرب أسوان إليها ، بسبب البحث عن سبل للمعيشة

بالقرية .

ب- تمتع القرية بكثير من الخدمات الصحية التى كانت محرومة منها منذ الستينيات والسبعينيات بصدور قانون المحليات ، ثم تلا ذلك توفير الخدمة التعليمية والكهرباء والمياه النقية ، ودخول وسائل الإعلام ، وهو ما ساعد على زيادة ارتفاع معدل الوعى بين أعضاء المجتمع ، فأدى ذلك إلى انخفاض معدل وفيات الأطفال ، ومن ثم كان مردود جملة هذه الخدمات أن ارتفع متوسط عمر الفرد ، بحيث ساعد على زيادة معدل الكثافة السكانية بصفة عامة .

ونظرًا للضيق الشديد الذى يتميز به السهل الفيضى فى محافظة أسوان الذى يشمل مجتمع البحث ، فقد انعكس ذلك على ضيق الحيازات والمساحات الزراعية الصالحة للزراعة على مستوى قرى محافظة أسوان عامة ، ومن ثم ليس من الممكن زراعة المحاصيل التجارية كالقطن ؛ لما يتطلبه هذا المحصول من أراض واسعة ، وهذا غير متوافر فى قرى محافظة أسوان ، أما المحاصيل التى جادت زراعتها فى مجتمع الدراسة فإنها :

أ- **المحاصيل التقليدية** : ومنها المحاصيل الشتوية مثل البصل الذى يكفى حاجة الاستهلاك ، أما القمح والشعير فإنه لسد حاجة مدينة أسوان .

ب- **الزراعات الصيفية** : ومنها الخضروات التى يفضل زراعتها ؛ لأنها ذات عائد اقتصادى مرتفع ، وجميعها يباع فى أسواق مدينة أسوان .

ج- **البقول** : تشتهر القرية بزراعة الحمص والترمس ؛ لسد حاجات القرية

ومدينة أسوان .

د- البلح : يمثل المحصول الرئيسى للقرية ، حيث اشتهرت بأنواع محددة ؛ هى :

(قنديلة - ملكابى - سكوتى - قرقود - جرجون - دقفة - عجاوى) ، وتقدر المساحة المنزرعة بالنخيل بحوالى ٣٠٠ فدان ، ويقوم الأهالى بتجفيف معظم هذه الأنواع من البلح ثم تباع فى مدينة أسوان ، أما البلح الطازج فإنه للاستهلاك المحلى .

هـ- المحاصيل التجارية : الكركديه - الفول - النباتات الطبية - الحلف - الحنظل - الدمسيسة) ، وهى من المحاصيل الرئيسية التى اشتهر بها مجتمع الدراسة ، وتعتمد مدينة أسوان على القرية فى إمدادها بهذه النوعية .

و- محاصيل خاصة للاستهلاك المحلى : يعد كل من البرسيم والذرة من المحاصيل التى لا غنى عن زراعتها فى مجتمع القرية بالنسبة لكل الحيازات الصغيرة والكبيرة ، نظرًا لحاجة أعضاء المجتمع لها فى استهلاكه المحلى .

٢- أنشطة اقتصادية جديدة :

لقد كشفت الدراسة الميدانية عن عجز النشاط الزراعى عن استيعاب الزيادة السكانية بمجتمع الدراسة ، بمعنى أن مساحة الأراضى الزراعية لم تَعد تتناسب مع الزيادة السكانية ؛ حيث بلغ تعداد السكان ١٣٤٥ نسمة ، طبقًا للتعداد التقريبى (١٩٩٧) ، أما الحيازة الكلية فتقدر بنحو ١٠٩٩ فدانًا ، يصل المزروع منها إلى حوالى ٧٠٤ فدادين فقط ، طبقًا لبيانات المجتمع المحلى ، ومن ثم جاءت

نتائج دراستنا الحالية لتشير إلى ما يأتى :

– عدم قدرة الأنشطة التقليدية التى تشتهر بها الثقافة النوبية قديمًا على الوفاء بالمتطلبات الضرورية لأعضائها ، وينطبق ذلك أيضًا على الفئة التى أخذت حظًا من التعليم ، بوصف ذلك أسلوبًا يسمح بالخروج من دائرة الأنشطة التقليدية والتوجه إلى العمل بالوظائف الحكومية .

– عجز هذا القطاع أيضًا عن استيعاب جميع المؤهلين من أبناء القرية ، وذلك يرجع – من وجهة نظر الباحثة – إلى انحصار غالبية المتعلمين فى دائرة المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة من التعليم العام (غير المتخصصين) ، باستثناء فئة الذين يعملون فى مجال التربية والتعليم فى المراحل المختلفة ، ومن ثم نتج عن هذه الأوضاع غير المتوازنة تفجر مشكلة البطالة فى مجتمع الدراسة . انظر الجدول رقم (١٥) .

الجدول رقم (١٥) يوضح حجم البطالة فى مجتمع الدراسة

اسم القرية	مؤهلات متوسطة		مؤهلات فوق متوسطة		مؤهلات عليا		الجملة	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
غرب أسوان	٣٢٠	٢٥٧	١٠٧	٦٥	٣٥	٦٠	٤٦٢	٣٢٨

فى ضوء بيانات الجدول السابق لم يعد هناك سبيل إلى الخروج من مأزق البطالة إلا باستحداث أنشطة اقتصادية جديدة ، لكى تستوعب هذه الطوابير من الشباب العاطل ، على أن تكون هذه الأنشطة خارج نطاق دائرة الوظائف الحكومية .

ولقد كشفت المعايشة فى المجتمع عن اكتشاف أثرى جديد فى فترة أواخر الثمانينيات من القرن الماضى ، وهو ما يعرف (بمقابر الأشراف)[٤١](٥) ، فى منطقة نجع القبة الواقع فى الطرف الجنوبى للقرية ، وباكتشاف هذا الأثر أصبح بمثابة نقطة تحول اقتصادى أخرجت القرية وشبابها من العزلة النسبية التى فرضها عليهم

---

(٥) تقع مقابر النبلاء على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة الطرف الشمالى لجزيرة الفنتين . وتبدو أهمية هذه المقابر فى كونها تمثل سجلات للمعلومات التاريخية عما كان يحدث فى الركن الجنوبى من مصر القديمة فى عهد الدولتين القديمة والوسطى . قام باكتشاف هذه المقابر اللورد جبرنتيل ، وفتحها فى الفترة من ١٨٨٥ إلى ١٨٨٦ . ويمكن الوصول إلى هذه المقابر عن طريق ممر صغير يؤدى إليها يبدأ من حافة الماء ، ويتألف من درج مزدوج يتوسطه سطح مائل به سلسلة من الدرجات لسحب التوابيت الحجرية إلى أعلى ، ويؤدى هذا الدرج إلى مصطبة كبيرة (الشرفة) تفتح عليها المقابر ، ويتم الصعود إلى هذه المقابر عبر الطريق الصاعد بجوار مرسى المعدية (نجع القبة بقرية غرب أسوان حاليًا) . وتتكون مقابر النبلاء من ست مقابر ؛ هى على التوالى : المقبرة رقم ٢٥ تمثل الدولة القديمة ، مقبرة سابين رقم ٢٦ ، المقبرة رقم ٢٨ (خاصة بحقائب أمراء عهد الأسرة ١٢) ، ثم المقبرة ٣١ لسبرينوت الثانى الذى يمثل الدولة الوسطى ، المقبرة رقم ٣٢، المقبرة رقم ٣٥ (نحت من الدولة القديمة) ، المقبرة رقم ٣٦ لسن موزا تمثل الدولة الوسطى – الأسرة ١٢) ، ويغلب على تصميم هذه المقابر طابع معمارى متشابه تمثل فى حجرة يرتكز سقفها على أعمدة قد تأخذ الشكل المربع أو الشكل الأسطوانى جميعها منقوش عليها إما مناظر لأشخاص وإما مخطوطات منقوشة . كما يجب ألا ننسى الصعود إلى قمة الصخرة المتوجة بقبة الهواء ، وهى قبة لضريح أحد الشيوخ ، كما يوجد بجواره دير القديس سمعان ، ويصل الطريق الكبير الجنوبى إلى صخرة بها مجموعة من المخطوطات تحمل عددًا من أسماء الفراعنة فى الفترة بين الأسرتين ١٨ و ٢٥ . للمزيد ، انظر :

- جيمس بيلر ، آثار مصر فى وادى النيل ، الجزء الرابع ، ١٩٩٠ .
- سيد توفيق ، مصر الفرعونية ، ١٩٩١ .
- سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ .

الموقع ، فأصبح نجع القبة ضمن المزارات السياحية[٤٢] التى يزورها السياح ، وبذلك استحدثت أنشطة اقتصادية جديدة ، وهى كما يأتى :

١- الأنشطة السياحية :

لقد عُرف عن أهالى غرب أسوان قيامهم ببعض الأنشطة السياحية فى الماضى ، وهى تصنيع المشغولات الخوصية (سعف النخيل) ذات الألوان الزاهية مثل : (أطباق الخوص - العلاّقات - المقاطف بجميع أحجامها) . والمشغولات الخرزية مثل : (العقود الملونة) ، وجميعها تعرض فى المحلات السياحية فى مدينة أسوان ، إلى جانب قيام فئة من أهالى القرية من أصحاب المراكب الشراعية بمهمة عمل رحلات نيلية لأفواج السائحين ، إما للنزهة وإما بغرض عمل حمامات شمس على سطح المركب ، والبعض الآخر يقوم بنقلهم من مكان إلى آخر لزيارة المناطق السياحية (جزيرة النباتات)[٤٣] . صحيح أن جميع هذه الأنشطة تتم خارج نطاق الحدود الإدارية للقرية ، ولكن كشفت المعايشة عن وجود مؤشرات للتغير فى مجال الأنشطة السياحية تتمثل فيما يأتى :

أ- أصبحت القرية المجال الذى تؤدى فيه الأنشطة السياحية الجديدة ، حيث تمثل الأسرة النوبية وحدة إنتاجية وصاحبة نشاط سياحى ، ولم يعد الأمر يقتصر على الفرد كما كان فى الماضى . كما تتنوع صور الأنشطة السياحية ، فمن بينها أنشطة خدمية متمثلة فى توفير أماكن لاستراحة السياح داخل المنزل أو خارجه ، حيث تقدم المشروبات المحلية النوبية (الكركديه - التمر هندى - الدوم - الشاى) ، والتسالى (الحمص - البلح - الترمس - الفول السودانى) ، والوجبات (حمام بالفريك - الطيور المشوية - فراخ - حمام) ، كما يتوافر

نشاط سياحى علاجى ، حيث يقوم أفراد الأسر بعمل حفر فى حوش المنزل أو خارجه فى المنطقة الصحراوية (خلف المنزل) بغية وضع السائح الذى يطلب الشفاء من الأمراض الروماتيزمية فيها ، ثم تتولى الأسرة بعد ذلك تقديم المشروبات الساخنة ، وتوفر له الراحة اللازمة بعد الانتهاء من ذلك الأمر .

ب- ظهور نشاط تجارى داخل المنزل النوبى ، ويتمثل فى أن تقوم كل أسرة بعرض المنتجات النوبية من جلاييب للنساء والرجال ، مصنوعة من قماش الكتان أو القطن الملون الذى يتم تزيينه بالخيوط الملونة (باللون الذهبى أو الفضى) ، وأغطية الرأس المصنوعة من القماش المزركش بالخيوط الملونة ، إلى جانب السلع النوبية الأخرى ، مثل : العقود ومصنوعات الخوص والحناء الجافة .

جـ- انتشار نشاط الرسم بالحناء على الأيدى والأرجل ، حيث كشفت المعايشة فى المجتمع وجود فئة من الفتيات النوبيات اللائى احترفن الرسم بالحناء ، وفئة أخرى تعد عجينة الحناء لوضعها على الرأس بوصف ذلك نوعًا من العلاج للشعر (القشرة والتقصف) أو بغية تلوين الشعر ، كما لوحظ ولع النساء السائحات من مختلف الجنسيات بالفن النوبى الذى يقدم لهن فى هذه القرية .

(**ملحوظة** : جميع هذه الأنشطة المنزلية يتم فيها التعامل بالعملة الأجنبية وليس بالجنيه المصرى) .

٢- الأنشطة الحرفية : ظهر فى مجتمع الدراسة فئة من الأنشطة الحرفية الجديدة ، بعد أن كانت القرية فى الماضى تعتمد فى تلبية احتياجاتها من هذه الأنشطة على مدينة أسوان ؛ حيث ظهرت محلات النجارة التى تقوم بعمل الأبواب والشبابيك ، كما ظهرت محلات لتصليح الأدوات الكهربائية

(المروحة - الثلاجة - الراديو) ، ومحلات لتصليح السيارات (الإصلاح - نفخ العجلات - اللحام بالكهرباء) .

٣- الأنشطة المتنوعة : كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن استحداث أنشطة تجارية ؛ مثل البقالة والسلع التموينية .

٤- الثروة الحيوانية : ما زال المجتمع النوبى يولى للحيوانات المعاونة فى العمل الزراعى أهمية خاصة ؛ بحكم أن القرية مجتمع زراعى ، فى المقام الأول ، وإن ظهر ميل نحو التنوع فى النشاط الاقتصادى ، إلى جانب النشاط التقليدى . وأهم الحيوانات التى توجد فى مجتمع الدراسة البقر والأغنام والماعز والجمال ، ولقد لوحظ أن البقر يحظى باهتمام كبير من جانب الأهالى ؛ لأنها تمثل اليد المعاونة فى العمل الزراعى ، على عكس الجاموس الذى لا يلقى قبولًا من جانب أعضاء مجتمع الدراسة ، وذلك راجع إلى مفهومه عن الجاموس بأنه حيوان مرفه (لا يقدر على العمل الشاق) ، إلى جانب عوامل أخرى ؛ مثل : عدم قدرته على السير فى رمال القرية ، واحتياج الجاموس إلى كميات كبيرة من المياه للاستحمام . فيما عدا ذلك يسهم كل من البقر والجاموس فى إمداد الأسرة بالألبان التى يقوم عليها كثير من الصناعات الغذائية بالمنزل .

ومن الخدمات التى حظيت بها القرية وجود وحدة بيطرية تابعة للمجلس المحلى ، تتولى تقديم الرعاية الطبية للثروة الحيوانية ، إلى جانب القيام بعملية التوعية الصحية الخاصة بتربية هذه الحيوانات والعناية بها تلافيًا لحدوث أية إصابات .

كما ينتشر إلى جانب تربية الحيوانات تربية الطيور (حمام - أرانب -

دجاج) بهدف سد حاجة المجتمع المحلى من اللحوم ، ثم نقل الباقى إلى مدينة أسوان .

٥- الصناعة البيئية :

تشتهر قرية غرب أسوان بالصناعات البيئية القائمة على سعف النخيل وجريده ؛ نظرًا لشهرة القرية بزراعة النخيل ، حيث تقدر مساحة الأراضى المزروعة بالنخيل بحوالى ٢٢٩ فدانًا . وتمثل وحدة الأسرة (الزوجة - البنات - الأجداد) فريقًا للعمل لإنتاج الصناعات البيئية القائمة على النخيل . ومن أشهر هذه الصناعات :

- الأثاث والأدوات المنزلية ، مثل الأَسِرّة (العنجريب) - الكراسى - المناضد - أقفاص الطيور - الأطباق مختلفة الأحجام - الأبراش - الحصر - المصلى - المفراكة - المطرحة .
- أدوات الزينة مثل : العلاّقات (الشعليقة) - المروحة - المقاطف والزنابيل لتخزين الحبوب ونقلها إلى الأسواق .
- المراجين : (سلة من سعف النخيل) .

وتظهر مؤشرات التغير بظهور أدوات مصنوعة من البلاستيك تستخدم جنبًا إلى جنب مع الأثاث المصنع محليًا من جريد النخيل[٤٤] .

٦- المواصلات :

ما زال أهالى القرية يعتمدون فى الاتصال بالمجتمع الخارجى على المراكب الشراعية ، على الرغم من أنه فى أواخر السبعينيات من القرن الماضى ، أدخلت

المعدية الآلية (العبّارة) تحت إشراف المجلس المحلى ، ومع أواخر الثمانينيات من القرن الماضى - وبعد اكتشاف الموقع الأثرى الجديد (مقابر النبلاء فى نجع القبة) - أصبحت القرية مدرجة ضمن البرامج المعدة لزيارة السائحين فى منطقة أسوان ؛ لذا رأى المجلس المحلى للمحافظة ضرورة تحسين مرفق المواصلات الخاص بهذه القرية ، فاقترح إنشاء « كوبرى » ليربط القرية بالمجتمع الخارجى (مدينة أسوان) ، ولكن هذا الاقتراح لم يلق موافقة الأهالى ، بل رفضوه حتى لا يتسبب الكوبرى فى تسهيل عملية انتقال الأجناس الأخرى غير النوبية للسكن والاستقرار ، أو إقامة أية مشاريع تجارية أو سياحية وهو مما يفقد المجتمع خصوصيته ، لكن مشروع الكوبرى يجرى تنفيذه ويقارب على الانتهاء ، بالإضافة إلى هذا تم تعبيد الطريق البرى شرق خزان أسوان ليصل قرية غرب أسوان وقرية الكوبانية بمجتمع مدينة أسوان .

تاسعًا : البيت النوبى :

إن حاجة الإنسان إلى البيت حاجة أساسية بعد الغذاء والكساء . ويختلف شكل البيت وطريقة بنائه والمواد الداخلة فى تشييده باختلاف البيئات ، فهى فى تصميمها تعتمد على نوعية المناخ السائد والخامات المتوافرة فى البيئة . فعلى سبيل المثال تنتشر فى البيئة القطبية البيوت الثلجية المصنوعة من قطع الجليد ، فى حين تنتشر الخيام فى الصحارى ، فصنعت من الصوف وشعر الماعز[٤٥] .

أما فيما يتعلق بالبيت النوبى ، فقد كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن وجود علاقة وثيقة بين شكل البيت النوبى والنسق الأيكولوچى لقرية غرب أسوان ، حيث يشكل فيه السهل الفيضى جانبًا أساسيًا تسبب فى الامتداد الطولى لموقع

القرية ، إلى جانب أنه المصدر الأساسى لتوفير مادة الطين فى البيئة المحلية لصناعة الطوب الطينى (الطوب اللبن) ، ومن جهة أخرى أسهمت الصحراء الممتدة بطول القرية فى توفير مساحات واسعة من الأراضى الرملية إلى جانب سيادة المناخ الصحراوى (قارى جاف)[٤٦] .

والخلاصة أن توافر العوامل السابقة أدى إلى تجسيد التفاعل على أرض الواقع بين عناصر النسق الأيكولوچى وموقع القرية المنعزلة ، وهو مما جعل البيت النوبى فى شكله وتركيبه يتسم بخصائص مميزة على النحو الآتى :

١ – الاتساع : يعد من الخصائص المميزة للبيت النوبى الذى يسمح بالسكنى للجماعة القرابية كبيرة الحجم (أسرة ممتدة أو مشتركة – إقامة أمومية) . وهو ما لا يحتاج معه إلى بناء طوابق أخرى .

٢ – أحادية الطابق : هى السمة الثانية التى تميز معظم بيوت القرية ، لكن مؤشرات التغير أخذت تغزو القرية مع أوائل الثمانينيات من القرن الماضى ، بظهور اتجاه فيما بين بعض النوبيين من الشباب وأرباب الأسر المهاجرة إلى دول النفط ، نحو توجيه جزء من مدخراتهم لتجديد مساكنهم من النمط التقليدى بأن يستبدل به النمط الحديث ؛ الذى يتسم بتعدد طوابقه (طابقان أو ثلاثة) وتعدد النوافذ والبلكونات ، ووجود أسقف أسمنتية وجدران من الطوب الأحمر ، وتوافر خدمات مثل : الكهرباء والمياه النقية ودورات المياه ، إلى جانب الاحتفاظ بالمسكن التقليدى جنبًا إلى جنب مع المسكن الحديث ؛ بمعنى أن يستخدم المسكن الحديث فى فصل الشتاء ، فى حين يبقى المسكن التقليدى لتربية الحيوانات والطيور ، ويكون النوم به صيفًا فى حوش البيت .

٣- تمثل خامة الطين اللبن مادة البناء الأساسية فى تشييد جميع بيوت القرية ، وذلك يرجع إلى رخص ثمنه ، وتوافر المادة الخام فى البيئة ، إلى جانب أن تصنيعه يتم محليًا (داخل القرية) ذلك بخلط نسبة من الطين بالماء والتبن ، بالإضافة إلى تميز الطوب اللبن بخاصية امتصاص الحرارة المرتفعة ، لكن عائدات المهاجرين سمحت بأن تستبدل بخامة الطين خامات أخرى غير متوافرة بالبيئة ؛ مثل : الزلط والأسمنت وحديد التسليح والطوب الأحمر ، ومعها انتقلت العمالة المتخصصة من أجل تشكيل هذه الخامات لتتفق مع مواصفات نمط المسكن الحديث ، على غرار مساكن مدينة أسوان .

٤- الخاصية الرابعة : تشييد السقوف ذات القباب من قوالب الطوب الطينى وهو ما يسهم فى تلطيف درجة الحرارة المرتفعة ، بالإضافة إلى قدرته على تحمل القبة التى تقوم دعائمها على الحجر والطين ، على عكس الأسقف التى تعتمد على عروق الخشب التى لا تقوى على تحمل الزمن أو الأثقال ، وعدم استخدام مادة الخشب فى الأسقف حتى لا تسقط على أهل المسكن (بسبب انتشار حشرة الأرضة) .

٥- الخاصية الخامسة : تتعلق بالتركيب الداخلى والخارجى للبيت النوبى ، حيث يتميز البيت النوبى بالجدران السميكة بوجه عام ؛ إذ يبلغ سمكها ٣٠سم ، أما الارتفاع فيتراوح بين ٤ و ٥ أمتار ، إلى جانب الأجزاء المكشوفة التى يطلق عليها النوبيون (الحوش) ، وغالبًا ما يكون وسط حجرات المعيشة والنوم والاستقبال ، وذلك يساعد على توفير حماية داخل المسكن من الحرارة الشديدة الخارجية ، بالإضافة إلى وجود فتحات صغيرة فى أعلى الجدار لتخفيض درجات

الحرارة حتى لا تتأثر بالأحوال المناخية الخارجية . كما اعتاد النوبيون أن تطل واجهات بيوتهم على نهر النيل لتتفادى بقدر الإمكان المناخ الصحراوى ، الذى تتمتع به القرية فى فصل الشتاء ؛ حيث البرودة وهبوب الرياح الشمالية بصورة مطردة[٤٧] ، فشيدت البيوت حتى تواجه الجنوب الغربى لكى تتلقى أقصى قدر ممكن من أشعة الشمس للتدفئة والإضاءة الساطعة ، ومن ناحية الجنوب الغربى حيث الجدران المرتفعة ، وهنا كانت الحجرة غير مسقوفة بجريد النخيل ، وتعرف (بالخوخة) ، وهى المنطقة المكشوفة بالحوش ، تشيد على الجانب الجنوبى الشرقى منه وتفتح على الشمال الغربى حتى تسمح بدخول النسيم ، وبهذه الطريقة توفر حجرة (الخوخة) مكانًا يسمح بالعيش والنوم أثناء النهار .

أما عن الأسباب وراء قلة الفتحات فى البيت النوبى عامة ، وفى حجرات المعيشة خاصة ، فإنها تتمثل فى حماية الأعضاء المقيمين بالبيت من رياح الشتاء البارد ، وإن كان أحد الإخباريين يضيف سببًا آخر ، وهو ميل النوبيين إلى البعد عن أنظار جيرانهم ، وذلك لشدة الاعتقاد فى العين الشريرة والحسد .

كما يتميز التقسيم الداخلى للبيت النوبى بتعدد الحجرات طبقًا لوظائفها ، ويتفاوت عدد الحجرات طبقًا لعدد الأفراد أو عدد الأسر التى تعيش داخل البيت ، ولكن مهما كان عدد الحجرات فلا بد أن توجد حجرة أو أكثر لاستقبال الضيوف ، وبشكل ثابت بعد الباب الخارجى الرئيسى للبيت مباشرة ، بحيث لا يمكن للداخل إلى البيت أن يمر بالحوش الكبير الذى تفتح فيه بقية الحجرات . وإذا خرجنا من حجرة الاستقبال (المندرة أو المضيفة) وصلنا إلى وسط الحوش ، وعلى بعد خطوات نجد باقى الحجرات ، فهناك حجرة أو حجرتان للنوم ، وعلى

مسافة قرابة مترين توجد الحجرة التى يتجمع فيها أهل البيت ويطلق عليها (الخوخة) ، وعادة ما تمارس فيها بعض الأنشطة (تنظيف الغلة وصناعة السعف وخوص النخيل) . وعلى بعد خطوات توجد حجرة أخرى يطلق عليها (المطبخ) ، وهى حجرة لتخزين المواد الغذائية ، إلى جوارها حجرة أخرى لتخزين الغلال والحبوب ، تتلوها حجرة أخرى لتخزين المواد الغذائية . وفى الجهة المقابلة توجد حجرة صغيرة مسقوفة بسعف النخيل تسمى (المزيرة) ، يوجد بها « زير » (إناء فخارى كبير) لتخزين مياه الشرب ، وفى آخر المسكن يوجد المرحاض (حجرة مبيت الحيوانات) ، يليه حجرة الفرن ، على مقربة منها صوامع لتخزين الحبوب . وجميع هذه الحجرات تكون متجاورة من جانب واحد ، مواجهة للجانب الذى يقع فيه المدخل الرئيسى المؤدى إلى الباب الخارجى للبيت ، ولكن وسط هذا الجانب يوجد باب أصغر حجمًا من الباب الخارجى الرئيسى يسمى باب (السر) أنشئ لخدمة أغراض متعددة ؛ منها أنه ييسر للعنصر الأنثوى فى الأسرة الخروج والدخول أثناء وجود ضيوف غرباء داخل البيت ، بحيث لا يضطرون إلى استخدام الباب الرئيسى والمرور من أمام « المندرة » ، كما أنه يستخدم ليخرج منه أعضاء الأسرة عند قضاء الحاجة فى الجبل ، حيث إن جميع بيوت النوبيين القديمة خالية من المراحيض ، على عكس المساكن الحديثة التى أصبح يوجد بها مراحيض .

ننتقل الآن إلى الحديث بالتفصيل عن أثاث المنزل النوبى (التقليدى والحديث) ووظيفة كل حجرة .

المنـــدرة :

هى الحجرة التى تستخدم للجلوس واستقبال الضيوف . يتميز أثاثها

بالبساطة والتقليدية ، بحيث يلقى الضوء على الفوارق الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع ، ولكن أهم سمة تميز أثاثها الميل إلى الأخذ بمظاهر التغير الذى يبدأ بزحفه على مجتمع الدراسة ، وهى تضم مصطبة مبنية بالطوب اللبن مطلية بالجير الأبيض مغطاة بالحصر والأبراش المصنوعة من سعف النخيل ، ونمط الأثاث التقليدى نجده فى جميع البيوت النوبية ، بالإضافة إلى ذلك نجد بعض قطع الأثاث الحديث المصنوع من الخشب ؛ مثل : الكراسى ، والدكة ، والكنب البلدى . وفى المساكن الحديثة (للأسر حديثة الزواج وللمهاجرين) يتم الجمع بين الأثاث التقليدى والأثاث الحديث (حيث يوجد طقم صالون حديث) .

حجرة النوم :

من أهم سمات الأثاث حجرة النوم ، وهى تعكس الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين أسر المجتمع ؛ فهناك حجرات نوم تخلو من الأثاث وتقتصر على فرش « البرش » على الأرض واستخدامه بدلًا من السرير ، وهناك حجرات أخرى يوجد بها أثاث حجرة نوم حديثة ، والبعض الآخر يقتصر على سرير خشبى ودولاب خشبى فحسب .

حجرة المطبخ :

من الحجرات المهمة ، فلا يخلو بيت نوبى منها ، ويطلق عليها باللهجة النوبية (دوكة) . وهى عبارة عن قبوة عادية تستخدم لإعداد الطعام . وتنقسم الحجرة إلى جزئين ؛ الأول منها لتخزين المواد الغذائية ، والآخر لتجهيز الطعام ، ويلاحظ أن الأدوات المنزلية تكشف لنا عن التباين الاقتصادى والاجتماعى

للأسر ومؤشرات التغير فى المجتمع .

ومن الأدوات التقليدية المستخدمة للطهى والتخزين : « الطبلية الخشبية – المنخل المصنوع من السلك – بعض الكراسى الخشبية التى يطلق عليها (قعادة) . هذا فى حين يحتوى القسم الخاص بالطهى على : نملية خشبية ، وأرفف خشبية مغطاة بالورق والجرائد – وفى الأعياد والمناسبات تستبدل الأوراق الملونة بها – ويعلق عليها بعض الأوانى (الألومنيوم) المختلفة فى أحجامها . أما عن موقد الطهى ، فهناك « الكانون » ، (وهو يتكون من حجرين يوضع وسطهما الحطب ويشعل النار ثم يوضع إناء الطهى) و « المفراكة » ، وبعض الأدوات الحديثة التقليدية ؛ مثل : وابور الجاز ، والوابور ذى الأشرطة ، والبوتاجاز ، وعلّاقة الأطباق المصنوعة من البلاستيك ، والصاج ، والصينى ، كما يوجد الخلاط الكهربائى ، ومضرب البيض الكهربائى . وقد استبدلت بعض الأسر أرفف المطبخ فقامت بشراء مطبخ جاهز من النمط الحديث .

حجرة « المزيرة » :

يخزن الناس المياه فى زير (إناء فخارى كبير الحجم) ، يوضع عادةً على « مزيرة » (حامل) من الحديد أو الطوب الأحمر والأسمنت ، وهو يوجد داخل حجرة صغيرة مستقلة ، لها سقف من سعف النخيل . وفى البيوت التقليدية اعتادوا وضع صفيحة أسطوانية لحفظ الماء يوجد بأسفلها صنبور لتنظيم استخدام الماء بالمنزل ، أما فى نمط المنزل الحديث فتوجد الثلاجات الكهربائية بجوار المزيرة، إلى جانب إبدال صفيحة الماء إلى « كولمان » مياه ، أما عن أدوات الغسيل ، فإنها (طست من النحاس أو الألومنيوم – إبريق يستخدم لغسل الأيدى بعد

الانتهاء من الطعام) . أما فى المساكن الحديثة - بعد دخول خدمة توصيل المياه النقية - فاستبدل بصفيحة المياه حوض للغسيل به صنبور لغسيل الأيدى ، بالإضافة إلى وجوده مرآة معلقة .

دورة المياه :

جميع بيوت النوبيين القديمة تخلو من دورة المياه ، حيث اعتادوا قضاء حاجاتهم فى الجبل أو فى حجرة مبيت الحيوانات (الزريبة) . أما المساكن الحديثة فقد أدخلت بها دورة المياه (البلدى - الأفرنجى) وبعض البيوت القديمة أدخلت بها دورة المياه ، وعادةً ما يكون موقعها فى آخر البيت ، وهى حجرة لها باب مستقل غير مسقوفة ، لها باب خشبى بمدخل مستقل .

الفرن :

يوجد فى الحوش ، وهو مبنى من الطوب على قاعدة مربعة تنتهى إلى شكل ناقوسى ، وبه فتحتان : واحدة علوية لإدخال الخبز وإخراجه ، وأخرى سفلية لإدخال الحطب . لقد استبدل بالفرن فى المسكن الحديث فرن البوتاجاز ، وقد يتم الجمع بين الوسيلتين .

أدوات الخبز :

يسود فى مجتمع الدراسة وجود الماجور (إناء فخارى) الذى يعجن به الدقيق ، والأدوار (عبارة عن أقراص مصنعة من عجينة التبن وروث الحيوانات) لوضع الخبز عليها لكى يخمر فى الشمس ، والبرش (يستخدم لغربلة الدقيق) ، ونوع آخر من الأبراش يفرد عليه الخبيز بعد خروجه من الفرن . ولقد لوحظ أثناء

الدراسة الميدانية اتجاه الأسر الحديثة إلى شراء الخبز الجاهز ، الذى يحضرونه معهم عند عودتهم من عملهم من مدينة أسوان يوميًا ، أما الأسر كبيرة الحجم فمازالت تقوم بصناعة « العيش الشمسى » داخل المنزل .

صوامع تخزين الحبوب :

هى قبوة قريبة من المطبخ ، مصنوعة من الطين بأحجام مختلفة ، وهى على شكل جسم أسطوانى له فتحتان : واحدة علوية لدخول الحبوب ، وأخرى سفلية لخروجها .

الـرحـــــى (*) :

أداة تستخدم لطحن الحبوب ، مصنوعة من الحجر ، وقد اقتصر استخدامها على الجيل الأول والثانى ، أما الأجيال الحديثة (الأسر الحديثة) ، فلم تصطحبها فى مسكنها الجديد لعدم حاجتها إليها ؛ لأنها تعتمد على شراء الدقيق الجاهز الصنع المعد للاستخدام الفورى .

٦- الخاصية السادسة :

البيت النوبى كثير الرسوم الجدارية ، وذلك بسبب ثراء الثقافة النوبية بفنونها

(*) أداة مصنوعة من الحجر، تدار باليد عن طريق مقبض حديدى مثبت ، وتتكون من قرصين بهما نتوءات، ويوضعان أحدهما فوق الآخر . القرص العلوى به عصا أسطوانية تسمى يد المرانة ، وفى منتصف القرص العلوى فتحة لوضع الغلال ، ويبرز منه قضيب حديدى مثبت فى منتصف القرص السفلى ، ويحيط به قطعة خشبية تثبت فى فتحة القرص العلوى حتى لا تتحرك المرانة أثناء التشغيل وأثناء دورانها ، وقرص المرانة السفلى مثبت فى إناء كبير من الطين ليتلقى الغلال المطحونة ، فلا تتناثر على الأرض .

الشعبية القائمة على التشكيل الواسع ، معتمدين فيه على استمرارية زخرفة المنازل باستخدام وحدات زخرفية بارزة وغير بارزة فى واجهة البيت ، إلى جانب الاستعانة بالوحدات الزخرفية والهندسية ، فالزائر للقرية النوبية يلاحظ كثرة الوحدات التى ترمز إلى الشمس والهلال والنجوم والمثلثات والنباتات (الأشجار والنخيل والطيور بوصفها رموزًا للخير) .

أما عن زينة حجرات النوم واستقبال الضيوف :

- تشير معطيات الدراسة الميدانية إلى عدم حدوث تغير فى الوحدات الزخرفية المستخدمة ؛ مثل : الأطباق الصينى - الأكواب - الآيات القرآنية .

أما زينة حجرة النوم فغالبًا ما تزين بالأبراش ، وأطباق الخوص الملون ، والعُلّاقات (الشعليقات) الخرزية والأحجبة والمراوح الملونة . وتشير الدراسة الميدانية إلى حرص النوبيين على الجمع بين الزينة التقليدية (السابق ذكرها) والزينة الحديثة المتمثلة فى تابلوهات من قماش القطيفة بها رسومات للحرم المكى أو الحرم النبوى ، وقد تعدّ على شكل ماكتات أو مجسمات مصنوعة من البلاستيك الملون تأخذ شكل الكعبة أو المسجد النبوى ، وغالبًا ما توضع فى حجرة المضيفة .

عاشرًا : عادات الميلاد :

تمثل الرغبة فى الحمل والإنجاب واحدة من القيم المهمة التى لا تزال تشغل حيزًا كبيرًا فى نفوس أعضاء مجتمع قرية غرب أسوان وعقولهم .

وقد جاءت معطيات الدراسة الميدانية الحالية لتؤكد استمرارية تمسك المجتمع

بقيمة الإنجاب بصفة عامة(*) والحمل المبكر(**) بصفة خاصة ، وعادةً ما تمنح الثقافة النوبية الزوجين العام الأول بوصفه فترة لانتظار حدوث الحمل ، فإذا تأخر الحمل فهذا نذير بداية أول مشكلة تهدد وتعكر صفو الحياة الزوجية ، ويعتقد النوبيون أن السبب فى تأخر الحمل هو « المشاهرة » ، وهى بدورها السبب الأساسى والمباشر للعقم . وعمومًا فإن الثقافة المصرية عامة والثقافة النوبية خاصة تستهجن وتستنكر صفة العقم(***) فى المرأة . وحول هذه المشكلة وكيفية علاجها جاءت معطيات الدراسة الميدانية لتشير إلى ثراء التراث الشعبى النوبى ، وبخاصة فى مجال الطب الشعبى بكثير من الوصفات العلاجية التى لا يزال أعضاء المجتمع حريصين على اتباعها للوقاية من العقم ، بالرغم من توفر مقومات الخدمة الصحية داخل مجتمع الدراسة ، وزيادة الوعى الصحى بين الأزواج والزوجات المتعلمين ، ويرجع ذلك إلى استمرارية نظام الإقامة المشتركة مع أم الزوج ، وهو ما دعم استمرارية التمسك بالعلاج الشعبى جنبًا إلى جنب مع العلاج الرسمى ، ومن هذه الأساليب نذكر :

١- أنْ تلبس المرأة العاقر لفافة من نبات الرجلة أو الصبار (بعد صحنه)

(*) تقترن عبارات التهانى التى تقال للعروسين - وتقترن عادة بالدعاء لهما - بالإنجاب : « عقبال البكارى » ، « ربنا يرزقكم بالذرية الصالحة » ، « ربنا يجعلك نخلة تطرح وتملى المطرح » ، « تغلبيه بالأولاد يغلبك هو بالمال » .

(**) من عادات الطعام الشائعة لتدعيم قيمة الإنجاب حرص أم الزوجة على تقديم (الحمام المحشو بالأرز أو الفريك) للعروسين منذ ليلة الزفاف ولمدة ٤٠ يومًا ، لاعتقادها أن ذلك منشط لعملية الإخصاب .

(***) نظر المجتمع للمرأة العاقر على أنها مخلوق ناقص ، وكثيرًا ما تشيع بعض الأوصاف والتشبيهات المتصلة بذلك : (شجرة من غير ثمر حل قطعها) .

لاعتقادها أن له القدرة على امتصاص الرطوبة من الرحم .

٢- أن تقوم المرأة برحلة طقوسية لتعبر نهر النيل بالمركب من الغرب للشرق والعكس ، وذلك لاعتقادها أن عبور نهر النيل يزيل سبب العقم الذى يكون قد أصاب المرأة بسبب تجاوزها بعض المحظورات قبل زواجها (مثل السير فى الأماكن المهجورة) والصحراء ، حيث تعيش الأرواح الشريرة .

٣- أن تقوم المرأة بزيارة للأولياء والمشايخ (الشيخ البسطامى - الحاج حسن) .

ويعد حدوث الحمل من الأحداث ذات الدلالة العظيمة فى المجتمع . ويبدأ الحمل بما يسمى بالوحم ، ويسهم الجانب الاعتقادى فى الثقافة النوبية بدور قوى فى الآثار التى يمكن أن تترتب على عدم تلبية طلبات الوحم ، إلى جانب إعفائها من المشاركة فى النشاط المنزلى . وتتميز فترة الحمل أيضًا بمحاولات الأهل معرفة نوع الجنين ، فهناك اعتقاد لا يزال سائدًا لدى جيل الآباء والأمهات والجدات أن هناك علاقة بين تغير ملامح جسم الأم من حيث الجمال والقبح وحجم البطن وبين نوع الجنين ، فالبعض يعتقد أن صغر حجم البطن مؤشر على أن المولود ذكر، وأن كبر حجم البطن مؤشر على أن المولود أنثى .

- ولكن تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى ظهور مؤشرات التغير فى قضية التنبؤ بنوعية الجنين ، وذلك باتجاه بعض النساء المتعلمات إلى الذهاب إلى الطبيب المختص ، من خلال نظام المباشرة الطبية طوال فترة الحمل ، ومن خلالها يتم التعرف على نوع الجنين من خلال جهاز الموجات فوق الصوتية (السونار) ، ولكن هذا لا يمنع من استمرارية الأساليب التقليدية جنبًا إلى جنب مع أساليب

الطب الحديثة ، وبخاصة بين أفراد الطبقة الفقيرة وغير المتعلمة .

- ويبدأ الاستعداد للوضع قرب نهاية فترة الحمل ، وتتضمن هذه الاستعدادات تجهيز السيدة الحامل ملابس المولود (إعادة تشكيل ملابس البالغين القديمة) ، وعادةً ما تتكون ملابس المولود من قطعة قماش مستطيلة تعرف بـ (اللفة) ، جلباب أبيض أو ملون .

- تجهيز الطعام الذى سيقدم للواضعة ، وهو عبارة عن : السمن - الحلبة - الفول السوادنى - التمر - الدواجن . يبدأ التجهيز عادةً من الشهور الأولى للحمل ، وغالبًا ما تتم الولادة فى منزل أم الزوجة ، وبخاصة « البكرية » ، حيث الانتقال قبل موعد الولادة بفترة ، وغالبًا ما تجهز لها غرفة (الحاصل) لتحميها من أنظار الزوار والمشاهرة ، أما عن الاستعدادات التى تتم قبيل عملية الوضع ، فيجمع أعضاء المجتمع على تقديم المشروبات الساخنة (القرفة) للواضعة وبعض المأكولات التى يعتقد أن لها دورًا فى تسهيل عملية الوضع (البيض المسلوق) أو التمر المطبوخ (المغلى) ، ومن الوجبات التعويضية التى اعتاد أعضاء المجتمع تقديمها بعد الوضع مباشرة (الحلبة الساخنة - التمر المغلى - الدجاج والشوربة) . أما الأطعمة الخاصة بإدرار اللبن (الفجل - الحلاوة الطحينية - الفريك المطهى) ، وتبدأ العلامات المميزة للوضع بما يسمى الطلق ، وعند ظهور هذه العلامات تُستدعى الداية ، ولا تزال الداية تلعب دورًا مهمًا فى مجتمع الدراسة ، حيث تقوم بمتابعة صحة السيدة الحامل منذ حدوث الحمل ، وتقديم النصائح لها طوال شهور الحمل ، ثم قيامها بعملية التوليد .

على أن توفر الخدمات الصحية التى تقدمها الوحدة الصحية إلى جانب إقامة

بعض المولدات الصحيات بالمجتمع وقيامهن بدور الداية قد دفع بعض النساء إلى الاتجاه إلى الاستعانة بهن فى عملية الولادة .

وتظهر الدراسة أن هناك مؤشرات التغير ، حيث يتم الوضع على يد الأطباء المتخصصين (نساء وتوليد) فى العيادات الخاصة أو المستشفيات الخاصة فى مدينة أسوان ، وهذا ما يحدث غالبًا بين المتعلمات والحالات العسرة .

– وبعد الانتهاء من الوضع ، تقوم الداية بجمع بقايا هذه العملية (الخلاص والمشيمة) ووضعها فى قطعة من القماش ، ثم يُلقى بها فى النيل قبل غروب الشمس ؛ وذلك لاعتقادهم أن الطفل ينشأ متشبهًا بالنيل فيكون دائمًا رزقه كثيرا وجاريا مثل مياه النيل .

– ثم تحرص الثقافة النوبية على وضع إجراءات للوقاية من المشاهرة للسيدة الواضعة ، وذلك من خلال الحيلولة دون حدوث المواقف التى تسبب المشاهرة ، وذلك بتعليق الباذنجان والنباتات الخضراء على الحائط بجوار سرير الواضعة لمنع الحسد .

– أما عن الهدايا التى اعتاد أعضاء المجتمع تقديمها للسيدة الواضعة فى فترة النفاس فتتمثل فى البيض والدجاج ، أما فى الجيل الحالى فقد استبدلت الهدايا والأطعمة بهدايا تخص المولود مثل الملابس ، أو تقديم مبالغ من المال (نقطة) تتراوح ما بين ٥ : ١٠ جنيهات ، ونظرًا لارتفاع قيمة عملية الإنجاب فى مجتمع الدراسة فقد اعتاد أعضاء المجتمع القيام ببعض الممارسات لحماية الطفل والمحافظة على حياته وحمايته من الكائنات فوق الطبيعية ، وأخرى تهدف إلى العناية بصحته وتجميله ؛ مثل : قطع الحبل السرى – الأذان الشرعى فى أذن الوليد –

غسل الجسم وتنظيف العينين وتكحيلها - رفع سقف الحلق لاعتقادهم أن ذلك يساعد على فتح الشهية للطفل - ثقب أذن الأنثى .

- وتعد تغذية المولود من أهم أوجه الرعاية التى تحرص عليها الأسرة ، كما يعد نمط الرضاعة الطبيعية النمط السائد بالقرية ، ولكن فى الأيام الأولى وقبل نزول لبن الأم اعتاد أعضاء المجتمع تقديم شراب الينسون (ماء بسكر - لبن السرسوب (المسمار)) . على أن الدراسة تكشف عن ظهور مؤشرات التغير لدى بعض الأمهات الشابات العاملات فى مجال تغذية الأطفال بالألبان الطبيعية أو الصناعية طوال فترة غيابها فى عملها ، واستمرار الرضاعة الطبيعية بعد عودتها إلى المنزل ، أما فى حال مرض الأم أو حدث حمل فتعتمد فى تغذية المولود على الألبان الصناعية بدلًا من الرضاعة .

- وتمثل عملية تسمية الوليد من الأحداث الاجتماعية التى يحرص عليها أعضاء مجتمع الدراسة ، وعادة ما تكون مرتبطة بمجموعة من المعايير .. فالبعض يسمى المواليد بأسماء الأجداد - أو بأسماء الأقارب المتوفين لاعتقادهم أن الطفل سوف يعيش مثلهم عمرًا مديدًا .

والبعض الآخر يفضل أن يسمى المواليد بأسماء الأولياء ، أو بأسماء الشهور أو الأيام التى تمت فيها الولادة .. غير أن معطيات الدراسة الميدانية تشير إلى ظهور معايير أخرى لاختيار الأسماء ، وذلك يرجع إلى الدور الذى أسهمت به وسائل الإعلام بعد دخول الكهرباء فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضى إلى مجتمع الدراسة فى الاتجاه إلى اختيار أسماء ممثلى المسلسلات العربية والأفلام والمذيعات التليفزيونية .

- وتعد إقامة احتفال السبوع من السمات المميزة لعادات الميلاد فى مجتمع الدراسة ، ويتجلى ذلك فى الممارسات المتباينة التى يبدأ التجهيز لها من اليوم السادس لإجرائه فى اليوم السابع ، وذلك بإعداد الأطعمة الخاصة (العصيدة والمديدة)(*) ، ثم يبدأ الاحتفال بعد غروب الشمس بحمل الطفل فى موكب إلى شاطئ النيل ، تقوم الداية بنثر ماء النيل على الطفل ثم تكحيله ، وعمل صليب على وجه الطفل ، ثم يغسل وجهه بسبع حفنات من ماء النيل ، وتدعو له بالعمر المديد كل مرة - الرزق الواسع - ثم تلقى سبع حفنات من الطعام المعد فى النيل ، ثم تدعو له مع كل حفنة ، ثم توزع بقية الطعام على الأطفال ، ويملأ الإناء بعد إفراغه من الطعام بماء النيل عند عودتهم للمنزل لنثره فى أركان المنزل ، ثم تقوم الداية بوضع ملابس المولود فى قارب صغير مصنوع من سنابل القمح ، وبجواره شمعة مضاءة ، ثم تدفعها فى ماء النيل قائلة : « روحى برائحة الولد ، فى عوامل الظهر » ، ثم تأخذ كمية من الماء تلقى بها بجوار نخلة للاعتقاد أن يشب الوليد قويًا معمرًا مثل النخيل .

- وتعد عملية تنشئة الطفل من العمليات الاجتماعية الثقافية التى ينتقل بها الطفل من الحالة البيولوجية إلى التفاعل الاجتماعى الثقافى . ويمثل الفطام أحد المراحل الأساسية ، ويتم تبعًا لعدة عوامل ؛ منها : نوع الطفل ونوعية عمل الأم .

وإذا كان النمط السائد فى مجتمع الدراسة فطام الطفل عند سن عام أو عامين ، فإن الفترة قد تقصر عن ذلك فى حالة حدوث حمل ثان ، فتضطر الأم

(*) نوع من الأطعمة النوبية تتكون من الدقيق واللبن والسمن البلدى تقدم فى المناسبات مثل سبوع الطفل .

إلى أن تسرع فى عملية الفطام .

وفى هذه الحال تستبدل الرضاعة ببعض الوجبات ؛ مثل : البطاطس المسلوقة - البيض المسلوق - المكرونة - البسكويت ، وقد ظهرت أطعمة جديدة ؛ مثل : السيريلاك - الأرز باللبن - المهلبية .

- ويعد الفطام التدريجى نظامًا شائعًا فى مجتمع القرية ، ويتم بإحلال بعض الوجبات السهلة اللينة مكان الرضاعة ، إلى جانب استخدام المواد « الحراقة » ليدهن بها صدر الأم . وتراعى الأسرة أن تتم عملية الفطام فى نهاية الشهر العربى حتى لا تستغرق مدة طويلة ، وبذلك تبعده عن مخاطر الإضرار بالمشاهرة التى قد يترتب عليها عدم حمل الأم مرة ثانية .

- وتبدأ الأم بتدريب المولود عند بلوغه ٦ : ٨ شهور بوضعه فى قفص من الجريد محاط بقطع من القماش لحمايته من مخاطر القفص ... ثم يلى ذلك تعليم الطفل الحبو ، وغالبًا ما يتم بصورة تلقائية ؛ لأن هذه العملية مرتبطة بمدى سلامة أعضاء جسم الطفل وقوتها (الأيدى - الأرجل - الأعصاب) .

ولكن تشير الدراسة الميدانية إلى حدوث تغير مع ظهور « المشاية » الخشبية والبلاستيكية ، لتدريب الطفل على المشى بغية حمايته من أن يتعامل مع الأشياء الموجودة بالقرب منه فى البيئة (زلط - تراب) ، وحماية ملابسه من الاتساخ ، أو التفاعل واللعب مع الطيور والحيوانات بالمنزل ، كما أكدت الدراسة أن لعامل الجيل وتعليم الأم وعملها دورًا واضحًا فى انتشار هذا التغير من عدمه .

- يمثل بكاء الطفل وسيلة من وسائل تعامل الطفل مع البالغين ، وتحرص الأمهات النوبيات على عدم ترك الطفل - خصوصًا الذكر - يبكى فترة طويلة

خوفًا من إصابته بالفتق ، وتلجأ إلى حمله على جنبها أو كتفها أثناء أدائها بعض الأنشطة المنزلية ، أما الأنثى فلا تهتم الأم ببكائها ، وذلك للاعتقاد أن البكاء لا يمثل خطورة أو ضررًا على صحتها ، وللاعتقاد أن جسمها به الكثير من الفتحات تحميها من الإصابة بأى مرض . ويرجع أعضاء المجتمع بكاء الطفل المستمر للحسد ، وتضع الثقافة النوبية إجراءات لعلاج بكاء الطفل المحسود(*) .

- تعد عادة الختان للذكور والإناث من العادات التى ترتبط بالطقوس ذات الطابع الاحتفالى ، خاصة بالنسبة للطفل الذكر ؛ لأنها تمثل واحدة من طقوس العبور اللازمة لاكتمال صورة الرجولة عندما يصل إلى سن البلوغ ، بالإضافة إلى ارتباطها بالناحية الدينية من حيث مفهوم الطهارة والنجاسة . أما للإناث فترجع إلى الاعتقاد أنها تحميهن من الانحراف . ويتم ختان الذكور فيما بين سن السادسة إلى الثامنة ، أما الإناث فيفضل إجراؤها فى سن سبع إلى عشر سنوات . وتشير معطيات الدراسة الميدانية إلى حدوث تغير فى مجتمع البحث ، حيث يتم فيه الختان فى اليوم الثالث للولادة فى حالة الوضع فى العيادة أو المستشفى ، فيما عدا ذلك يفضل إجراء الختان فى أواخر الشهور العربية ، وفى فصل الصيف . ويتم ختان الإناث على يد الداية ، أما الذكور فيتم على يد الحلاق . وعلى الرغم من ظهور اتجاه للتغير فى اللجوء إلى الطبيب فى عملية الختان (بين الآباء والأمهات المتعلمين) ، فإنه لا يزال دور كل من الحلاق والداية مستمرًا لأداء هذه العملية بالمجتمع .

(*) منها وضع سبع حبات من التمر لمدة ٣ - ٥ أيام فى إناء مكشوف تحت النجم ، ثم يعطى للطفل ليشرب منه ويأكل التمر ، ثم يغسل جسمه ببقية المنقوع .

وتعكس احتفالية ختان الذكر إعلاء قيمة الذكورة فى مجتمع البحث من حيث كون ختان الذكور يعد من المناسبات التى يدعى لها الأهل والأقارب والجيران فى حفل يشبه فى شكله ومضمونه شكل الاحتفال بالزواج من حيث تقديم النقوط للمختِّن والطفل وأهله ، وإعداد الولائم للإفطار والغداء(*) للسادة الحضور ، وتغنى فيها الأغانى ، ويتم إطلاق الزغاريد ، خصوصًا أثناء إجراء عملية الختان (التى تتم غالبًا أمام المنزل) حتى يغطى على صوت بكاء الطفل واستغاثته .

أما بالنسبة لختان الإناث فتقوم به الداية داخل المنزل وبدون مظاهر احتفالية ، ولا يبلّغ عن موعد الختان إلا بعد الانتهاء من إجراء هذه العملية .

الحادى عشر : عادات الزواج :

بالرغم مما كشفت عنه معطيات الدراسة الميدانية من ميل مجتمع قرية غرب أسوان للأخذ بمؤشرات التغير فى بعض الممارسات والطقوس الخاصة بعادات الزواج فإن الثقافة النوبية لا تزال تحافظ على خصوصيتها وهويتها المتميزة .

- تعد قيمة الزواج المبكر واحدة من القيم الأساسية لمجتمع الدراسة ، وذلك راجع لعدة عوامل اجتماعية وثقافية منها سيادة نظام الزواج القرابى الذى يتبعه ضرورة الاختيار من الدوائر القرابية ، ثم الإقامة المشتركة مع الأم أو الأب ، وعلى الرغم من أن مؤشرات التغير تشير إلى تأخر سن الزواج بالنسبة للفتى (من ٣٣ - ٤٠ ، وللفتاة من ٢٣ - ٢٧ عامًا) ، فلم يعد عيبًا هذا التأخير للفتاة نظرًا لتوفر

(*) من الأطعمة الشائع تقديمها فى عملية ختان الذكور: الفتة بالأرز واللحم، والحلوى، والشاى .

الخدمة التعليمية بمراحلها الثلاث (ابتدائى - إعدادى - ثانوى) ، داخل المجتمع واتجاه أعضاء المجتمع نحو تعليم الإناث ، ومن ثم أصبح للفتاة حق فى المشاركة فى اختيار شريك حياتها ؛ أى أن تُفاضل بين من يتقدمون لها من الدرجات القرابية ، ثم تقوم الأسرة بإعلان رأيها على أنه رأى الأسرة ، أما بالنسبة للفتى فالثقافة النوبية منحته حرية أكثر فى اختيار شريكة حياته بنفسه ، عندما يصل إلى سن الزواج .

- ويعد فصل الصيف من الأوقات المفضلة لإتمام الزواج ، وهذا لا يمنع أن يتم أيضًا بقية شهور العام ؛ ذلك نظرًا لاختلاف ظروف إجازات الشباب المهاجر للعمل خارج المجتمع ، كما لا يزال يفضل أعضاء المجتمع أيام الخميس والاثنين والأحد لإتمام أفراحهم .

وبالرغم من أن المجتمع النوبى عامة بما فيه مجتمع الدراسة يفضل الزواج القرابى (زواج من بنات العم والخال ، والدرجات الأخرى) ، فإن الدراسة الميدانية تشير إلى مؤشرات التغير المتمثلة فى ظهور اتجاه الزواج غير القرابى (من خارج الدائرة القرابية ، ومن خارج المجتمع) جنبًا إلى جنب مع الزواج القرابى .

- وتمثل الخطبة البداية الرسمية للزواج ، ويشيع فى المجتمع طريقتان : الأولى : نظام السماية (الخطوبة المبكرة للفتاة) ؛ والأخرى عن طريق بعض الوسطاء من الأسرة (الخالة - العمة - الأم) ، وتؤكد المعطيات الميدانية استمرار الطريقتين السابقتين مع ظهور نمط الاختيار الذاتى للزواج الذى يسود بين الشباب الذكور المتعلمين ، وهو الخطبة من خارج حدود الدائرة القرابية والجماعة الإثنية النوبية ؛ أى الأخذ بنظام الزواج الخارجى ، وعلى العكس فالفتاة النوبية لا تزال

ملتزمة بأن توافق على الاختيار من داخل حدود الجماعة القرابية أو الاختيار من داخل حدود الجماعة النوبية الإثنية . ويلى هذا الاختيار الاتفاق على جميع تفاصيل الزواج .

- تعد فترة الخطوبة (التى تصل إلى عام وأكثر من عام) وتقديم الشبكة وإقامة حفل لها ، وارتداء العروس فستان خاص ، والذهاب إلى الكوافير فى مدينة أسوان ، ثم قبول الثقافة النوبية لفكرة فسخ الخطوبة ورد الشبكة فى حالة رفض العروس ، من الأمور الحديثة على مجتمع الدراسة التى ظهرت فى أواخر الثمانينيات من القرن الماضى بسبب زيادة عدد المهاجرين من شباب القرية للعمل فى الدول العربية ، الذى أسهم بدوره فى تحقيق حالة من الرواج الاقتصادى ، إلى جانب قرب مجتمع البحث من مدينة أسوان ، وهو ما أسهم كذلك فى حدوث اتصال ثقافى بين المدينة ومجتمع القرية بسبب تحسين المواصلات بين المجتمعين (برى - نهرى) .

- وتعد ليلة الحناء أحد طقوس التزين والاستعداد لليلة الزفاف ، يحرص على أدائها كل من أسرتى العروسين ، وأهم ما يميز الاحتفال بليلة الحناء أنه يبدأ الاستعداد لها من الساعات الأولى من اليوم ، حيث تبدأ عملية تزيين العروس ، وعادة تتم على مرحلتين ؛ الأولى : صباح يوم الحناء (نظافة جسم العروس ، وتتم بوساطة أم العروس أو خالتها) ، أما المرحلة الأخرى فتتم بعد صلاة الظهر من يوم الزفاف بذهاب العروس إلى الكوافير فى مدينة أسوان . وفى مساء ليلة الحناء ترتدى العروس فستانًا ، ويقدم المدعوون النقوط التى يتم تسجيلها فى الحال ، ويأخذ الحضور فى الغناء والرقص ، وبعد انتهاء الحفل يتم تحنية العروس

(جميع أجزاء جسمها) . ويلعب التغير دورًا فى اتجاه العروس إلى عمل رسومات الحناء على الأيدى والأرجل ، حيث أصبح ينظر إلى تحينة جسم العروس على أنه مظهر من المظاهر التقليدية(*) .

- ويبدأ حفل حناء العريس أمام منزله ، حيث يقوم المدعوون الأقارب بالرقص والطبل والغناء ، وتلعب الدرجات القرابية دورًا بارزًا فى تنظيم العمل من أجل تقديم الحلوى والشربات للمدعوين .

وبعد الانتهاء من الحفل يتم تحنية العريس ، وتكشف المادة الميدانية عن التغير فى اتجاه العريس إلى تحنية(**) باطن القدم ، على عكس ما كان قديمًا (تحنية الأيدى والأرجل والجسم بوساطة الأم أو الخالة) ، حيث أصبح الشباب عامة ينظر إلى ذلك على أنه مظهر من المظاهر القديمة .

وتعد حلاقة العريس أحد الأركان الأساسية لزينته ، ومن المعتاد أن تتم أمام منزل العريس بعد صلاة العصر ، يوم الزفاف ، حيث يجلس العريس على كرسى (يعرف بكرسى الخلافة) ، ويقف بجواره اثنان من الأقارب يتولى أحدهما كتابة اسم كل فرد يقوم بتقديم النقوط للعريس ، ويتولى الآخر ترديد عبارة « خلف اللّه عليك يا فلان » ، ثم يذكر قيمة النقوط ليسجلها الآخر ، أو عبارة

(*) تقوم إحدى الصديقات بعمل قمع من الورق لتصب به معجون الحناء ذات القوام اللين ، ثم تقوم بعمل رسومات بالقلم الرصاص تأخذ شكل الورود والخطوط المتعرجة .

(**) عمل الحناء : تتكون من قدح حناء وماء وكولونيا وصندلية (نوع من البخور الهندى) يشترى من العطار ، تضاف جميع هذه المكونات ثم تعجن بالماء ، يتم تقسيمها إلى جزأين : جزء جامد نسبيًا والآخر لين نسبيًا ، لعمل الرسومات والأشكال .

« الورد كنشوج من عرق النبى فتح عريس - عريس » .

ومن مؤشرات التغير أن أصبحت مهنة الحلاقة يقوم بها الآن أبناء القرية ، وقد استغنى عن الحلاق الذى يأتى من خارج المجتمع .

- يعد عقد القران وإقامة حفل له من الأمور الحديثة فى مجتمع النوبة ، فقد أدت هجرة شباب النوبة للعمل فى الدول العربية إلى حدوث نوع من الرواج الاقتصادى ، إلى جانب سهولة الاتصال بمدينة أسوان ، وهو ما أسهم أيضًا فى إحداث هذا التغير المتمثل فى (ارتداء العروس فستانًا خاصًا - استبدال الشربات بزجاجات الكوكاكولا والبيبسى) ، بل انسحب هذا التغير أيضًا إلى زينة العروس فى يوم الزفاف ، فظهر الفستان الأبيض الطويل والطرحة والتاج المرصع بالورود أو الألماظ . إلى جانب استخدام العطور المستوردة ، والذهاب إلى « الكوافير » فى مدينة أسوان وإلى « المصوراتى » لالتقاط صورة الزفاف . أما العريس (من المتعلمين) فقد لعب التغير دورًا كبيرًا فى اتجاهه إلى لبس البدلة ورباط العنق ، أما الآخرون فما زالوا يرتدون الجلباب واللاسة .

- ويتسم حفل يوم الزفاف فى الماضى بمظاهر معينة ، حيث يبدأ العريس بعد تناوله طعام الإفطار فى الخروج بصحبة بعض الأصدقاء - الأقارب مستقلين جملًا ليطوفوا به أنحاء مجتمع الدراسة والقرى المجاورة لدعوة الناس إلى حفل الزفاف ، أما الآن فقد استبدل ركوب الجمل بالسيارة ، ومع صلاة المغرب يتناول العريس طعام العشاء ، ثم يأخذ حمامًا ، ويرتدى ملابسه ، ويبدأ بعدها مراسيم

حفل الزفاف بالتجمع أمام منزل العريس ، وتتحرك الزفة على الأقدام بالغناء والرقص إلى منزل العروس . ولقد لعب التغير دورًا فى اتجاه الشباب المتعلم العائد من الهجرة إلى الاستعانة بالفرق الموسيقية والرقص الشعبى لإحياء هذه الليلة بدلًا من الأصدقاء والأهل ، وظلت زفة العريس بالأهل والأصدقاء قاصرة على الطبقة الدنيا فى المجتمع ...

– وباقتراب زفة العريس من منزل العروس تنتقل العروس من مكان الاحتفال الذى يقام فى حوش المنزل ومعها بعض الصديقات إلى الدخول إلى حجرة النوم لانتظار دخول العريس ، ويسارع إخوة العروس الذكور إلى الوقوف أمام الباب الخارجى للمنزل والقيام بمعركة وهمية بين إخوة العروس الذين يمنعون دخول العريس عند وصوله إلى منزلهم من الدخول على عروسه ، وفى أثناء هذه المشادة يتعرض العريس إلى بعض الضربات على ظهره بوصف ذلك نوعًا من العرقلة ومنعه من الدخول إلى منزل العروس ، وتستمر هذه المعركة من خمس عشرة إلى ثلاثين دقيقة ، ثم بعدها يسمح إخوة العروس له بالدخول ، بعد دفع مبلغ ٥ جنيهات .

– ومجرد السماح بدخول العريس إلى منزل أهل الزوجة ، يتجه العريس إلى حجرة النوم ، حيث يجد العروس وصديقاتها فى انتظاره ، ثم بعدها ينفرد العروسان بنفسيهما . ومن العادات التى لا تزال سائدة تقديم العريس مبلغًا من المال ، يعرف (بالرضوة) قبل الدخول بعروسه ، وقد اعتاد أعضاء المجتمع أن يطلق عليها : « فلوس الرضوة » أو « فلوس النطق » ، وتحرص العروس على إعطاء

هذا المبلغ لإحدى قريباتها .

الثانى عشر : عادات الموت :

يمثل الموت آخر مرحلة فى دورة حياة الإنسان ، وقد نسجت العقلية الشعبية الكثير من الطقوس التى قد تتباين بتباين الثقافات الفرعية . وعلى المستوى الأكثر تحديدًا تشير معطيات الدراسة الميدانية إلى أن هناك شبه إجماع فيما بين أعضاء مجتمع الدراسة على التمسك بأداء الطقوس المرتبطة بعادات الموت التى بدورها تعكس كثيرًا من القيم الاجتماعية الحميمة ، ويتجسد فيها روح التعاطف والتساند فيما بين أسرة المتوفى والأسر الأخرى على مستوى الدوائر القرابية بالمجتمع . وتتفق ثقافة مجتمع قرية غرب أسوان مع غيرها من مدن المجتمع المصرى وقراه ، فيما لديه من ممارسات وطقوس ترتبط بوقوع حدث الموت ، ولقد حاولت ميكانيزمات الثقافة النوبية الحفاظ عليها عبر المراحل التاريخية لهذا المجتمع .

- يتجسد الاستعداد للموت فى اعتقاد أعضاء المجتمع بالأحلام المحملة ببعض الرموز المادية والمعنوية ذات دلالة بالتنبؤ بوقوع الموت ، خصوصًا إذا كان أحد أفراد الأسرة مريضًا أو فى حالة احتضار ، ومن صور هذه الرموز والدلائل التى يفرزها المعتقد الشعبى النوبى ، تقوم العقلية الشعبية النوبية بتفسيرها(*) بما

(*) ومن هذه الأحلام : إذا رأى أحد فى المنام كأنه مسافر ويقوم الأهل بتوديعه ، إذا رأى المريض أحد أقاربه الموتى فى المنام وهو ينادى عليه أو يطلب أن يراه - فهذا يعنى قرب أجله ، إذا حلم أحد أنه يقوم فى المنام بتقطيع لحم نيئ فهذا دليل على موت أحد فى الأسرة ، بعكس إذا رأى المريض أنه قد مات فى الحلم ، فهذا دلالة على طول عمره .

يوحى بأن يستعد أهل المتوفى لوقوع حدث الموت . تبدأ خطوات أسرة المريض بالاستعداد لوقوع هذا الحدث فى أى وقت ، خصوصًا إذا كان المريض كبير السن ، كما يتضمن المعتقد النوبى فكرة التفاؤل والتشاؤم ؛ فمثلًا عند سماع صوت البومة فهذا نذير بوقوع شىء مخيف أو محزن ، ومن الخطوات المتبعة لدى أعضاء المجتمع للاستعداد للوفاة تجهيز القبر (حفره) ثم شراء الكفن وملحقاته (صابون - ليف - عطور) يكثر الأهل من زيارة المريض والجلوس بجواره فترات طويلة .

وبمجرد ظهور علامات الموت التى غالبًا ما يعرفها كبار السن ذوو الخبرة من الجنسين ، يبدأ أهل المتوفى بإفراغ الحجرة التى بها المتوفى من الأثاث وتنظيفها ثم الفصل بين المتوفى وبين من هو عكس نوعه من الجنس .

- إذا كان الصراخ هو الوسيلة الشائعة للإعلان عن الوفاة فى مجتمع الدراسة ، فعادةً لا يتم الإعلان عن خبر الوفاة إلا بعد التأكد باستدعاء كبار السن الذين لديهم خبرة للتأكد من علامات الموت ، وبعد التأكد يسارع الأقارب إلى إحضار المغسل على حسب جنس المتوفى ، فى حين كان يؤديها من قبل واحد من الدرجات القرابية .

- يتضمن تجهيز الميت كثيرًا من الطقوس مثل الغسل والتكفين - النعش (السرير) والصلاة على الميت - حفر القبر ، وتتم عمليات التجهيز بسرعة انطلاقًا من أن (إكرام الميت دفنه) ، وتبدأ عملية الغسل بحضور الأبناء والأقارب لمساعدة المغسل فى أداء عمله ، وبمجرد الانتهاء من أداء الغُسل يتم تكفين الميت . ولا يختلف الكفن باختلاف النوع ، بل يتكون الكفن الشرعى

من ثلاث طبقات (أدراج من قماش الدبلان الأبيض) ، ثم يقوم المغسل بربط الميت بثلاثة أربطة ؛ الأول جهة الرأس ، والثانى فى الوسط ، والثالث عند القدمين ، وبعد الانتهاء من التكفين يقوم المغسل والحاضرون بقراءة الصلوات على الميت ، ثم يُحمل الميت من مكان الغسل (على سرير من جريد النخل) ووضعه على سرير آخر (النعش سرير من الجريد مفروش بلحاف نظيف بعرف طاهر) ، ثم يغطى بعد ذلك بملاءة بيضاء ، غير أن الثقافة النوبية حريصة أن تضع حدودًا للتفريق بين نعش الميت الذكر عن الميت الأنثى ؛ يكون ذلك بوضع ثلاثة أقواس من جريد النخيل على نعش المرأة ، ثم يوضع فوق الأقواس غطاء لونه أخضر حتى يمنع جسم المرأة من أن يهتز تحت الكفن أثناء سير الجنازة فى شوارع المجتمع ، وعادة ما يحمل النعش بوساطة أربعة رجال ، ويسارع مشيعو الجنازة إلى التبديل مع حاملى النعش بهدف أن ينالوا ثواب حمل الميت (آجر يا عبد) ، وتقتصر عملية تشييع الجنازة على الرجال فقط ، أما النساء فيبقين فى المنزل لاستقبال العزاء ، وتبدأ خطوات الدفن بوصول الجنازة عند المدافن التى تعرف بمصطلح (الجبّانة) .

يتقدم شيخ النجع لكى يؤم الناس لصلاة الجنازة فى العراء ، بأن يوضع الجثمان على الأرض تجاه القبلة ثم يبدءوا فى قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الأولى ، ثم الصلاة على النبى ﷺ بعد التكبيرة الثانية ، ثم الدعاء للميت بالرحمة بعد التكبيرة الثالثة ، ثم الدعاء للمسلمين بعد التكبيرة الرابعة ، ثم التسليم واقفين ، ثم ينادى أحد الحضور للإسراع إلى حمل الجثمان لإدخاله القبر قائلًا : (احملوا الأمانة بالراحة) .

وفى أثناء ذلك يكون هناك ثلاثة رجال من أقارب الميت فى داخل القبر(*) لاستقبال الجثمان فى حالة الرجل ، أما فى حالة المرأة يراعى أن يكون المشاركون فى حمل الجثمان إلى القبر من الدرجات القرابية (الابن - الأخ - ابن العم) ، كما يراعى أيضًا أن تبسط ملاءة يحملها أربعة أفراد من أطرافها لكى يغطى الجثمان فى أثناء حمله من النعش (السرير) لتسليمه إلى من يقومون بوضعه فى القبر ، وذلك حتى لا يرى الحاضرون كفنها أو حركة أعضاء جسمها فى أثناء طريقها للّحد .

ولقد أظهرت الدراسة الميدانية أن لكل نجع بالمجتمع مكانًا مخصصًا لدفن موتاه (جبّانة) .

- أما عن نظام الدفن ، فقد لوحظ أن المجتمع لا يعرف نظام المدافن الجماعية (الفسقية) ، ولكن النظام الشائع هو نظام الدفن فى اللحد طبقًا للشريعة الإسلامية ، وذلك يرجع فى رأيى إلى الطبيعة الأيكولوچية ، حيث اتساع مساحة الأراضى فى المجتمع ، إلى جانب خاصية الأرض الرملية التى يصعب معها عمل فساقى ، ومن الملاحظات الميدانية أن القبور فى مجتمع الدراسة لا ترتفع عن سطح الأرض كما يحدث فى معظم المدافن فى مدن ج . م . ع وقراها ، لكن يكتفى أعضاء المجتمع أن يحددوا بداية ونهاية المقبرة بوضع حجر تجاه الرأس

(*) يشيع فى مجتمع الدراسة نظام الدفن فى اللّحد ، حيث طبيعة الأرض الرملية والصحراء الواسعة . ونظام اللحد عبارة عن حفرة عرضها متر وطولها متران ، وعمقها ٧٠ سم ، يعمل لها جدار من الطوب نظرًا لهشاشة الأرض الرملية ، وكى لا تنهار الحفرة ، يوضع الميت على جنبه الأيمن جهة القبلة ، ثم يوضع فوق الميت طبقة من الحجر ، ثم يغطى بالتراب .

وحجر آخر تجاه الرجلين ، ثم يرش الماء ، ثم يوضع جريد النخيل الأخضر على القبر ؛ بغية أن يرحم ويسبح للميت .

- ويعد حدث الموت من الأحداث التى تجسد المشاركة الجماعية ومدى تفاعل الدرجات القرابية وأعضاء النجع مع بعضهم ، فبمجرد الانتهاء من مراسيم الدفن يعود الرجال المشيعون إلى مضيفة النجع لاستقبال العزاء من بقية أعضاء المجتمع الذين لم يحضروا عملية الدفن ، ويبدأ الشيخ القارئ تلاوة القرآن ، ولكن أظهرت الدراسة أن هناك مؤشرات للتغير فى المجتمع تتمثل فى استعمال أشرطة تسجيل القرآن بدلًا من الشيخ القارئ ، وعمومًا يستمر العزاء بالنسبة للرجال لمدة ثلاثة أيام ، أما بالنسبة للنساء فيستمر لمدة سبعة أيام .

- وتعد صدقة الميت من المراسيم المهمة لعادات الموت فى مجتمع الدراسة ، حيث تقوم النساء فى أسرة المتوفى يوم الوفاة بعمل كعك يطلق عليه (الشُريك) يتم إعداده فى المنزل ، ولكن ظهر اتجاه للتغير بشراء هذا الشُريك مُعَدًّا من مدينة أسوان من الأفران «الأفرنجية»، ثم يتم توزيعه بعد زيارة مقبرة الميت على الأطفال، بوصف ذلك صدقة ، وبعد العودة من الزيارة تبدأ الدرجات القرابية البعيدة فى الانصراف إلى منازلهم وتبقى الدرجات القرابية القربية فى الاستمرار فى الإقامة مصاحبة أسرة المتوفى حتى اليوم السابع ، ثم بعدها ينصرفون إلى منازلهم .

- تعد الصبحية (العتاقة) ثانى مراسيم عادات الموت ، ويشترط أن تتم طقوسها فى اليوم السابع ، شريطة أن تكون يوم الجمعة ، حيث يذهب الرجال بعد صلاة الجمعة إلى مضيفة النجع ، ثم يقومون بذبح خروف وتوزيعه فى صورة لحم مطهو وفتة بالأرز ، وتعرف بمصطلح (العتاقة) ، ويراعى أن يشارك أهل

الميت فى الأكل منها ، بوصف ذلك نوعًا من التيمن بأن يعيشوا ويعمروا مثل الميت ، أما إذا كان المتوفى شابًا صغير السن تمتنع الدرجات القرابية عن تناول أى شىء من العتاقة . وبعد الانتهاء من الطعام يتم تقسيم أجزاء القرآن الثلاثين على الحضور من الأقارب للتلاوة على روح الميت ، وبعد الانتهاء يقومون بقراءة آخر الآيات بصورة جماعية مع شيخ جامع النجع ، ثم يدعون بأن يصل ثواب هذه التلاوة إلى روح الميت فى قبره ، وتكون له نورًا فى قبره وأنيسًا فى وحدته .

- ويعد «الأربعين» من المناسبات المكملة لطقوس عادات الموت التى يحرص فيها أقارب الميت على أن ينحروا الذبائح ويوزعوها فى صورة لحم غير مطهو على الرجال فقط (على روح الميت) ، ولقد أظهرت الدراسة أن هناك مؤشرات تغير فى المجتمع تتمثل فى استعمال أشرطة الكاسيت وأجهزة التسجيل يوم السابع والأربعين للتلاوة بدلًا من الشيخ القارئ .

- ومن سمات فترة الحداد التى تستمر لمدة عام بالنسبة للنساء وأربعين يومًا بالنسبة للرجال أن ترتدى فيه النساء الملابس السوداء ، وتحريم طهو بعض أنواع من المأكولات الحديثة فى موسمها (الملوخية الجديدة - البامية الجديدة) ، ويمنع دخول الفاكهة فى موسمها ، شراء أى شىء جديد من الملابس أو الذهب أو الأثاث، وعدم الذهاب إلى الأفراح، وعدم استخدام أى أدوات للزينة (كحل) .

الثالث عشر : أعياد ومعتقدات ومعارف شعبية :

أولًا : الأعياد الشعبية :

- يرجع استمرار أعضاء مجتمع الدراسة فى الاحتفال بالأعياد الشعبية ، وتمسكهم بذلك إلى أن معظمها يأخذ الطابع الدينى ، مثل الاحتفال بليلة

النصف من شعبان واستقبال رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى ... إلخ .

يوافق الاحتفال بليلة النصف من شعبان مولد الشيخ البسطامى بقرية الكوبانية (إحدى القرى التابعة للمجلس المحلى لقرية غرب أسوان) ، واعتاد أعضاء المجتمع الاستعداد لهذا الاحتفال قبلها بيومين ، حيث تقوم كل أسرة بتجهيز الأطعمة والحلوى التى ستقدم للمهنئين وزوار الشيخ ، وتعرف هذه الليلة بليلة « النص » .

ومن مظاهر الاحتفال الذى يقوم بأدائها أعضاء مجتمع الدراسة ، خروج زفة من مجتمع الدراسة بعد صلاة الظهر متجهة إلى قرية الكوبانية تتكون من جمهرة من المشايخ وجماعات الشباب من الجنسين والأطفال بالملابس الجديدة ، تتقدمهم حملة البيارق والأعلام يسيرون فى صفوف ينشدون القصائد الدينية ، وهم ينقرون على الدفوف والطبول ، حتى يصلوا إلى قرية الكوبانية ، وعند وصولهم تنضم زفة قرية غرب أسوان مع زفة قرية الكوبانية ويتجهون جميعًا نحو المقام ، ثم الطواف حول المقام سبعة أشواط وهم يرددون القصائد الدينية(*) ، ثم زيارة المقام ، وبعدها تنفض الزفة فيسعى أهالى القريتين إلى تبادل التهانى فيما بينهم ؛ مثل : « بعودة الأيام » ، « كل عام وأنت طيب » ، ثم يتجهون لشراء الحلوى والحمّص والفيشار والفول السودانى واللعب المصنعة من الحلوى الملونة (العروسة والحصان) .

(*) مرحبًا يا نور عينى مرحبًا مرحبًا جد الحسين مرحبًا
أنت نور فوق نور مرحبًا يا كريم الوالدين مرحبًا
مثل حبك ما رأينا مرحبًا يا نور الصدور مرحبًا

وهناك يكثر الباعة الذين يقيمون الشوادر فى الساحة التى تحيط بمقام الشيخ البسطامى ، ثم بعدها يستعد أعضاء مجتمع قرية غرب أسوان للعودة إلى قريتهم .

– يعد الاحتفال باستقبال شهر رمضان من السمات المميزة للثقافة النوبية بما فيها مجتمع الدراسة ، حيث يبدأ الاستعداد لاستقبال هذا الشهر الكريم قبل ثبوت الرؤية بأسبوعين ، فتأخذ كل أسرة فى المجتمع فى تجهيز الوجبات والأطعمة الموسمية ؛ أى الخاصة بهذا الشهر الكريم – مثل الإبريق (*) (عبارة عن رقائق من الفطير المخمر) تقوم النساء بصنعه وعادةً ما يتم بصورة جماعية ، بمعنى أن تشارك أكثر من أسرة فى إعداده ، لأنه يحتاج إلى أيدى كثيرة إلى جانب أنهن يصنعن كميات كبيرة تكفى كل أسرة ويقمن بتوزيعه على الأقارب غير القادرين على إعداده .

كما يعد التمر والفول والعدس والسكر والشاى والأرز والمكرونة من الوجبات التى تحرص كل أسرة على اقتنائها قبل حلول شهر رمضان ، كما تحرص أسر المجتمع على شراء الفوانيس الملونة للأطفال ، وبمجرد ثبوت رؤية هلال رمضان يتبادل الأهالى التهانى وتبدأ جلسات السمر والسهر للرجال فى

(*) مكونات شراب الإبريق : ذرة مطحونة ، تنقع فى الماء لمدة ثلاث أيام لتتخمر ، ثم يضاف إليها الحلبة والكمون والقرفة والزنجبيل ، ثم تعجن عجينة لينة وتنضج على صاج ساخن (الدوكة) على شكل رقائق ، ثم تكسر إلى قطع وتحفظ .

طريقة إعداد شراب الإبريق : تنقع رقائق الإبريق فى ماء وسكر ، ثم يضاف إليها الليمون والبلح وذلك لمدة ١ – ٣ ساعات ، ثم يقدم .

مضيفة النجع لسماع القرآن الكريم . وتشير الدراسة إلى حدوث تغير فى مجتمع الدراسة ، فقد أدى توفر دخول الكهرباء ثم انتشار أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة إلى تفضيل أسر النجع التجمع داخل منازلهم حول هذا الأجهزة لمتابعة برامجها المتميزة . كما تغير أيضًا أسلوب الإعلان عن مواعيد السحور ، فبعد أن كانت القرية تعتمد على المسحراتى أصبح مجموعة من الشباب يقومون بالطواف بالنجع لإيقاظ أعضائه بالنقر على الدفوف ، ثم اختفت هذه العادة وأصبحت القرية تعتمد على أجهزة الإعلام .

- وتحرص أسر مجتمع الدراسة على التنشئة الدينية لأبنائها فى سن مبكرة ، ويتجسد ذلك فى أوضح صورة فى تدريب الآباء أطفالهم من النوعين على الصيام من سن ٦ : ٧ سنوات ، فقد يأخذ الصيام شكلًا متقطعًا فى البداية (يوم صيام ويوم إفطار - أو نصف يوم صيام) ، وذلك فى فصل الصيف بسبب شدة حرارة الجو وطول ساعات الصيام ، وعلى العكس يأخذ الصيام فى فصل الشتاء شكل الصيام المتصل نظرًا لقلة ساعات الصيام واعتدال الجو ... وهناك عبارات السخرية المتداولة بين أعضاء المجتمع للسخرية بمن لا يلتزم بالصيام فى شهر رمضان ويرددها الأطفال لتدعيم التنشئة الدينية فى نفوس الجيل الصغير(*) . لا تزال القرية تعتمد على أذان مآذن الجوامع بالمجتمع إلى جانب سماع صوت مدفع الإفطار من مدينة أسوان ، وبعد الانتهاء من تناول طعام الإفطار يخرج البالغون لتبادل الزيارات ، أما الأطفال فيوقدون الفوانيس ويخرجون للعب والطواف ببيوت وطرقات النجع وهم يرددون أغانى رمضان (وحوى يا وحوى - رمضان

(*) يا فاطر رمضان يا خاسر دينك ، كلبتنا السودة تقطع مصارينك .

جانا – افرحوا يا ولاد – ادينا العادة سكر وزوادة) .

– أما الاحتفال بعيد الفطر فيبدأ برؤية هلال شهر شوال ، لكن اعتاد أعضاء المجتمع الاستعداد لاستقبال العيد من العشر الأخيرة من شهر رمضان ، وذلك بالقيام بمجموعة من الممارسات وإعداد الأطعمة الخاصة بالعيد (البسكويت – الكعك – الشريك) الذى يغلب على أدائها الطابع الجماعى (اشتراك أكثر من أسرة) فتبدأ بشراء المتطلبات اللازمة لإعداد أطعمة عيد الفطر من سوق مدينة أسوان (الدقيق – السمن – خميرة الكعك – الحلوى – الخميرة البيرة) ، ثم تجتمع كل مجموعة أسر فى إحدى المنازل لصنع مخبوزات العيد مثل (القرقوش – المنين أو الشريك – الكعك – البسكوت) ، ومن الأطعمة الشائع تناولها أول أيام العيد السمك (سمك بالسخينة)(*) ، ويبدأ الإعداد من يوم الوقفة بشراء السمك من مدينة أسوان وتجهيزه .

– يبدأ الاحتفال بعيد الفطر بخروج أعضاء المجتمع الرجال لصلاة عيد الفطر فى مكان مكشوف معد لهذا فى النجع ، ثم الذهاب إلى المقابر لزيارة الموتى ، أما النساء فيخرجن بعد صلاة الفجر مباشرة لزيارة الموتى والعودة لتجهيز فطور العيد وإخراجه إلى مضيفة النجع ، حيث يتجمع جميع الذكور باختلاف الأجيال بعد فراغهم من زيارة المقابر ، لتناول فطور العيد الذى يتكون غالبًا من (شاى ولبن وقرقوش) ، ثم بعدها يتوجهون جميعًا لزيارة الأهل والأقارب على مستوى

(*) سمك السخينة : بمعنى صينية سمك يتم إعدادها بغسل السمك البلطى وتنظيفه وتقطيعه إلى قطع كبيرة ، ثم يتبل بالثوم والملح والكمون ، ثم يقلى فى الزيت ، وتجهيز الطماطم المسيك بالبصل ، ثم يضاف إلى السمك ويوضع فى طاجن (إناء فخارى) يوضع فى الفرن البلدى حتى ينضج .

النجع (العرائس الجدد - أسر المتوفين - والمرضى) ، ثم بعدها يتوجه البالغون إلى منازلهم ، ولكن الشباب والأطفال ينطلقون لقضاء العيد ، فبعضهم يظل داخل القرية يلعب (كرة قدم - ركوب الحمير) ، وفى المساء يتجهون للذهاب إلى السينما ، أما الأطفال فيفضلون ركوب المراكب والذهاب إلى مدينة أسوان لشراء الألعاب وركوب المراجيح والذهاب إلى الحدائق أو زيارة المشايخ .

- يعد إعداد الأضحية أو الفدو أهم مراسيم الاحتفال بعيد الأضحى ، فهناك بعض الأسر تقوم بتربيتها داخل منزلها (لمدة عام) والبعض الآخر يقوم بشرائها قبل العيد بأسبوع أو يوم الوقفة (٩ من ذى الحجة) وذلك طبقًا للشريعة الإسلامية ، فإن الأضحية سُنّة واجبة على كل مسلم قادر عليه أن يفتدى ، ولا يشترط أن يكون الفدو أول أيام العيد ، بل هو مستمر طوال أربعة أيام العيد .

- يعد الوقت المفضل للأضحية بعد الفراغ من صلاة العيد ، ويشترط أن يكون صاحب الفدو حاضرًا عملية ذبحها بنفسه ، ثم يقسمها صاحب الأضحية إلى ثلاثة أقسام (ثلث للفقراء يقدم فى شكل لحم مطهو فى مضيفة النجع والثلث الثانى يوزع على الأقارب من الأرحام فى شكل لحم غير مطهو ، والثالث يكون لأهل بيت صاحب الأضحية) .

لقد كشفت الدراسة الميدانية عن أثر الهجرة إلى الدول العربية نحو تغير نمط الأضحية بدلًا من أضحية واحدة ، فهناك أسر تقوم بذبح أكثر من أضحية .

- يعد الاحتفال بيوم عاشوراء من مظاهر التنشئة الدينية فى مجتمع الدراسة ، يبدأ الاحتفال بصيام معظم أعضاء المجتمع من الجنسين يومى ٩ و١٠ من شهر المحرم ، وكما يقول بعض أعضاء المجتمع بأن هذه العادة اقتداء برسول اللّه ﷺ ؛ لأنه قال : « لو عشت العام القادم لصمت تاسوعة وعاشورة » ،

وتحرص معظم أسر المجتمع على ذبح الطيور والحيوانات ، وعادة ما يأخذ الذبح الطابع الجماعى ، حيث يشترك النجع فى ذبح شاة أو اثنتين ، ثم يتم توزيع جزء على جميع البيوت المشاركة والجزء الآخر على الأسر غير القادرة .

ومن الأطعمة المرتبطة بهذا العيد (المصحون) ويصنع من البلح ، ويطلق عليه المغلى(*) ، والبليلة(**) ، وتقدم جميع هذه الوجبات فى مضيفة النجع بعد صلاة المغرب ، وتأخذ النساء جزءًا منها لتذهب به لإلقائه فى النيل لاعتقادهن أن ملائكة البحر (النيل) لا بد أن تشاركهن احتفالاتهن ، حيث إنهم يمثلون مصدرًا للخير والحماية لهن ولأبنائهن من الأمراض ومن الغرق (سوف نعرض لموضوع المعتقد فى جانب آخر) .

- يبدأ الاحتفال بالحاج من منزل الحاج باستعداده للسفر إلى الأراضى المقدسة ، وذلك بمجرد ظهور نتيجة القرعة (التى تعلنها وزارة الداخلية) ، وتحديد رقم الفوج وموعد السفر ، وتقوم أسرة الحاج بذبح الذبائح وتقديم الطعام والمشاريب لجميع المهنئين ، ثم يستعد الحاج قبل سفره بشراء لوازم رحلة الحج (لبس الإحرام - الأطعمة الجافة(***) التى سوف يصطحبها معه) ، وتبدأ مراسيم

(*) المغلى : يصنع من البلح بعد تقطيعه إلى أجزاء صغيرة ، ثم يضاف إليه العناصر الآتية : الحلبة ، حلف البر ، اللوبيا ، الذرة . يرفع على النار مع التقليب حتى يمتزج ويصير مثل المربى . يقدّم ساخنًا فى أطباق .

(**) البليلة : تصنع من الذرة بنقعها عدة ساعات ، ثم يضاف إليها بعض العناصر مثل السكر - الأرز - الماء - قانيليا تنضج على النار ، ثم تقدّم فى صوانٍ .

(***) العدس والفول والأرز والمكرونة والتمر ، الصلصة ، عصير الليمون بالشاس . وعصير الليمون بالشاس : يعصر الليمون ثم ينقع فيه ١٠ - ١٥ متر شاس أبيض ثم يصفى ويلف ويوضع فى كيس لاستخدامه فى الحج .

السفر للحاج بتجمع جميع الحجاج أمام مسجد القرية ، ويخرجون جميعًا فى زفة من القرية بالطبل والدفوف والمديح النبوى لزيارة الأولياء (البسطامى) ثم الذهاب إلى محطة السكة الحديد بأسوان أو المطار أو ركوب الأتوبيس إلى ميناء سفاجة حيث استقلاله للسفينة .

- من مراسم استقبال الحاج :

تبدأ قبل وصول الحاج بأسبوعين ، حيث تقوم أسرة الحاج بطلاء المنزل بالجير الأبيض ، ثم تزيين واجهة المنزل بالرسومات (الكعبة - السفينة - الطيارة - الجمل) إلى جانب وضع الرايات الملونة المصنعة من سعف النخيل[٤٨] .

يوم وصول الحاج إلى بلدته وبيته هو يوم يحتفل به أعضاء مجتمع الدراسة وأسرته ، ويكون ذلك باستقبال الحاج من مكان وصوله (محطة السكة الحديدية - المطار - أمام مقر شركة النقل) ، ثم العودة بالحاج إلى مجتمع الدراسة بزفة . بعد يومين من وصول الحاج إلى منزله تقوم الجماعة القرابية بعمل احتفالية الاستقبال بذبح الذبائح - وتقديم الأطعمة (الأرز والفتة واللحم) فى مضيفة النجع ، وتلاوة القرآن والأناشيد الدينية ، وفى نهاية الاحتفالية يقوم الحاج بتوزيع الهدايا لأقاربه (مسبحة - طاقية - مصلى) .

الرابع عشر : المعتقدات والمعارف الشعبية :

تتفق نتائج دراسة محمد الجوهرى ، مع نتائج الدراسة الحالية من حيث تميز مجتمع غرب أسوان بعدد كبير من الأولياء إلى جانب استمرار أعضاء المجتمع فى تمسكهم بممارسة العادات والتقاليد والطقوس المتعلقة بالأولياء ، بالرغم من ميل المجتمع إلى الأخذ بمؤشرات التغير بسبب توفر الخدمة التعليمية التى أسهمت فى

زيادة عدد المتعلمين من الجنسين وتوفر الكهرباء التى أدت إلى انتشار وسائل الإعلام المرئى والمسموع ، وتوفر الخدمة الصحية ، فازداد الوعى الصحى بين أعضاء المجتمع ، بل تجاوز حدود هذا الوعى بعدم الاقتصار على الخدمة الصحية المتوفرة داخل المجتمع إلى الذهاب للاستفادة من الخدمة الصحية ، سواء الرسمية أو الخاصة فى مدينة أسوان بسبب سهولة المواصلات بين مجتمع الدراسة ومدينة أسوان .. وبالرغم من ذلك فلا تزال اتجاهات أعضاء المجتمع تميل إلى الثبات على عادة زيارة العريس وأهله للأولياء قبل ليلة الزفاف بليلة ، وذلك يرجع إلى قوة اعتقادهم فى قدرتهم على النفع والضرر والأذى الذى يمكن أن يصيب العريس بالعجز الجنسى فى هذه الليلة (الربط) ، وكذلك زيارة العروس لحمايتها من الحسد وإبطال المشاهرة ، أو أى عمل قد يكون حدث لها فى فترة الخطوبة من إتيان الأماكن المهجورة فى المناطق الصحراوية .

– حرص الآباء على حمل الوليد فى الأيام الأولى بعد ولادته لزيارة الأولياء لحمايته من الحسد وأمراض الطفولة الأخرى ، حتى البالغين من أعضاء المجتمع تزداد عقيدتهم بكرامات الأولياء وقدرتهم على فض المنازعات التى قد تحدث للفرد على مستوى أسرته أو على مستوى الجماعة القرابية بخصوص النزاعات حول الأرض أو الرى ، وقدرتهم على علاج الأمراض التى يكون سببها روحى أو أعمال سحرية ، وذلك يكون بمبيت الفرد المريض بجوار مقام الشيخ (البسطامى) ليلة أو ليلتين ، ويعتقد أن أداء هذا الطقس كفيل بأن يزيل المرض ويشفى المريض . ويفسر محمد الجوهرى أسباب استمرار الاعتقاد بالأولياء فى مجتمع غرب أسوان إلى أنه يرجع إلى انتشار الطرق الصوفية بشكل كبير ، إلى جانب زيادة عدد المنتسبين إلى هذه الطرق من أعضاء المجتمع على اختلاف

الأجيال (أجداد – آباء – شباب) باختلاف المهن (مزارع – صانع – موظف – عمل حر) .

ولكن ترى الباحثة أن هناك سببين آخرين أسهما فى استمرارية الاعتقاد بالأولياء بجانب انتشار الطرق الصوفية – هو ميكانيزمات التنشئة الدينية التى تحرص الأجيال الكبيرة من الآباء والأجداد على تكريسها من خلال الأداء الجماعى عند قيامهم بأداء الطقوس الدينية والواجبات الاجتماعية : صلاة الجماعة فى المسجد – زيارات الأقارب – صلة الأرحام – أداء صلاة العيدين – حضور الحضرة الدينية فى مضيفة التجع والتهانى والتعازى ، وذلك باصطحاب الأجيال الصغيرة من الشباب والأطفال معهم .

والسبب الآخر هو العزلة النسبية التى يتمتع بها مجتمع الدراسة ، حيث أسهمت العزلة فى الحفاظ على تقليديته ، ودوام الظروف العامة التى يعيشها أعضاء مجتمع الدراسة ، خصوصًا أن الظروف الطبيعية لها أثر قوى فى تشكيل ثقافته ، وبخاصة إذا كان العنصر الثقافى جزءًا من نسق المعتقدات الذى هو جوهر البناء الاجتماعى ، مؤديًا لوظيفة اجتماعية وحاجة من حاجاته الأساسية التى يدركها ويحتاج إليها أفراده[٤٩] . وعلى المستوى الأكثر اتساعًا ، أشار محمد الجوهرى فى دراسته إلى أن مجتمع غرب أسوان يمثل نموذجًا مصغرًا لأنماط الأولياء الموجودين فى ج . م . ع ، ثم قام بتصنيفها إلى خمسة نماذج هى :

أولياء لهم تاريخ وكرامات تردد قصص عن تاريخ نشأتهم .

أولياء يزارون فقط وليس لهم قصص عن تاريخ نشأتهم .

أولياء تختلط فى أذهان الناس أصولهم .

أولياء يتشكك فى أصولهم .

أولياء لهم مقابر وأضرحة كمشاهير الأولياء (السيد البدوى - السيدة زينب - الحسين) .

١- النوع الأول : (الشيخ البسطامى)[٥] والشيخ نجم - ونقصر الحديث حول الشيخ البسطامى -: يوجد مقام الشيخ البسطامى فى قرية الكوبانية التى تبعد عن غرب أسوان بحوالى ١٥ كم يطلق عليه النوبيون (البسطاوى) ، ويحتفل بمولده يوم ١٥ شعبان من كل عام . وحول أصل نشأته وسبب مجيئه إلى مصر تتردد كثير من القصص والأساطير معظمها يشير إلى موطنه الأصلى مدينة (بسطام) بالمغرب[٥٠] . يقول أحد الإخباريين إنه جاء إلى مصر تلبية إلى هاتف أو منام يأمره بالتحرك إلى مصر ، وهو متخف بزى رهبان ، ثم يتوجه إلى منطقة تعرف (بدير سمعان) فى منطقة جنوب مصر بالتحديد على الضفة الغربية ، حيث يوجد دير مسيحى (الذى تحول حاليًا إلى منطقة أثرية فى جبال غرب أسوان) ، وهناك يقوم بنشر الدعوة الإسلامية فيما بين رهبان هذا الدير ، الذى بلغ عددهم تقريبًا من مائة إلى مائة وعشرين راهبًا ، حيث كانوا يقيمون ، وبعد مناقشات ومحاورات كان من بينها الأسئلة المشهورة التى تقدم بها كبير الرهبان إلى الشيخ البسطامى ، والتى بلغت تسعًا وتسعين سؤالًا نجح الشيخ البسطامى فى الإجابة عنها باقتدار .. على أن الشيخ طلب من كبيرهم أن يجيب

---

(٥) اسمه أبو زيد البسطامى ، ولد فى مدينة بسطام بالمغرب ، لقب بسلطان العارفين بسبب حبه المعرفة التى تساعده على الوصول إلى طريق القرب من الله ، فلما وصل إليها تكلم بها ولقب بسلطان العارفين ، يجمع المؤرخون على أنه مات سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة .

عن سؤال واحد وجهه إليه : ما هى العبارة المكتوبة على باب الجنة ؟ فرد الرهبان : « لا إله إلا اللّه » وبعدها دخلوا جميعًا عن اقتناع فى الدين الإسلامى .

- وبعد الانتهاء من مهمته توجه إلى النيل لكى يتوضأ فرآه أحد اليهود فى قرية بحاريف (بهاريف) شرق النيل فصوب نبله إليه وأصابه فأخذ الشيخ ينزف حتى وصل إلى قرية الكوبانية ، وهناك سقط شهيدًا فدفن هناك ، وبنى له مقام .

• ومن كرامات البسطامى كما يرددها إخباريو أعضاء مجتمع الدراسة :

- قدرته على محاورة الرهبان وإقناعهم بالدخول فى الإسلام - وعند إصابته وضع على الجرح قطعة من الليف لمنع نزول الدم ، وعندما وصل إلى قرية الكوبانية حاول استخراج قطعة الليف لاستبدالها بقطعة قطن ، أو قطعة قماش ، فأخذت الدماء تتدفق من الجرح فاضطر أحد الحاضرين إلى أن يعيد قطعة الليف إلى مكانها لإيقاف الدم - ومن كراماته قدرته على شفاء الأمراض المستعصية (علاج النطق الكسيح - علاج العقم - تأخر الزواج - تلبية نداء المستغيث) .

٢- **أولياء يزارون فقط** : منتشرون حول حقول مجتمع الدراسة ، ولا يعرف الناس عن تاريخهم أى شىء ، ولكن يجمع إخباريو المجتمع أن كل ولى قد ظهر لصاحب الحقل الموجود به وطلب بناء مقام له ، ومن أشهر أولياء هذا النوع : الشيخ عبد اللّه والشيخ إبراهيم .

٣- **أولياء بلا أضرحة** : تضاربت حولهم آراء الإخباريين ؛ فالبعض يعتقد أنهم أولياء ، والبعض الآخر يعتقد أنهم كائنات حية أو جان ليس لهم أضرحة فى مجتمع الدراسة ، بل إن هناك رموزًا عن مكان تواجدهم ؛ مثل : « الأحجار الموجودة عند الطرف الجنوبى للقرية بجوار شاطئ النيل ، والبعض يطلق عليهم

ملائكة البحر أو السبع بنات ، أو الدجرى »[٥١] ، ويتطابق ذلك مع ما يعتقده النوبيون من وجود كائنات تعيش فى نهر النيل تشبه الإنسان ، فيما عدا وضع وشكل العينين اللتين تكونان فى وسط الرأس ، والثديين طويلين مكتزين ومرفوعين على الكتفين ، وقد يرجع جذور هذا المعتقد إلى الأصل الفرعونى ، حيث أكدت دراسات كل من ريزر Reisr ، وإليوت سميث Smith ١٩١٠ ، على أن مجموعات الآثار التى تم صنعها فى مراحل ، ووفقًا للعصور المختلفة التى وجدت فى مصر[٥٢] ، تشير إلى أن الجماعة النوبية تتفق وتتشابه مع مثيلتها فى مصر ، وبالتحديد فى عصور ما قبل الأسرات الأولى من حوالى ٤٠٠٠-٦٠٠ق . م سلالة واحدة ، فضلًا عن أنهما يؤلفان ثقافة واحدة[٥٣] ، ويلعب هذا المعتقد فى الحياة النوبية وظيفة مهمة من حيث إنه يمثل مصدر حماية لأطفالهم من الموت وهم صغار ، ولذا لا بد للمولود من أن يغمس جسمه بماء النيل ، وأيضًا حمايتهم من الغرق عندما يسبحون فى النيل ، وكذلك البالغين لحمايتهم من الأمراض ، وعلى وجه الخصوص النساء من مرضى العقم ، ولذا توجد علاقة حميمة بين الطرفين النساء وملائكة البحر ، فتفرض نوعية العلاقة الالتزام المتبادل ، وتتمثل فى اعتياد النساء تقديم الأطعمة (اللحم والثريد) عصيدة ، والمغلى ، والبليلة ، بإلقائها فى النيل أو وضعها على الأحجار بشاطئ النيل ليخرجوا ليتناولوها فى المساء ، ويمثل التقصير عن أداء هذا الالتزام بالنسبة للعقلية الشعبية النوبية فى استمرار العلاقة بأن يظهر للسيدة أثناء النوم (الأحلام) بوصفها نوعًا من اللوم على تقصيرها فعليها تقديم الأطعمة ، أو تتدهور العلاقة ويؤدى ذلك إلى وقوع الأذى أو إصابتها بالأمراض ، ولذا تسارع السيدة إلى معاودة تقديم الأطعمة .

٤- **أولياء لا يعتقدون بهم** : ومنهم الشيخ على أبو الهوى ، الذى يقع مقامه على جبل يطلق عليه (جبل الهوى) فى جنوب غرب القرية ، تتعدد الأساطير حوله ، فالبعض لا يعتقدون فيه والبعض الآخر يعتقد فيه . من أهم كراماته أن مقامه يمثل النقطة التى تهب منها الرياح ، فقد أكد كل من أصحاب المراكب الشراعية والصيادين هذا المعتقد ، حيث تعتمد مهنتهم على هبوب الريح ، ولهذا السبب يغاث به الناس عندما يكونوا فى وسط النيل حيث لا توجد نسمة هواء لتحريك مراكبهم . وليس لهذا الشيخ مولد يحتفل به ، أصبح الآن من ضمن المعالم الأثرية التى توجد بالقرية ويقصدها السائحون .

٥- **أولياء مؤشرون** : لا يوجد من هذا النمط فى مجتمع الدراسة ، بل يوجد فى منطقة جبانة أسوان ، حيث يروى الإخباريون أخبارًا عن وجود مقامات للأقطاب الكبار مثل (السيد البدوى ، والسيدة زينب) ، ويحرص أعضاء مجتمع البحث على زيارتهم فى المناسبات الخاصة بهم (زيارة العروس - الحجاج قبل السفر - المرأة العاقر) ، وذلك لما عرف عن كراماتهم العلاجية والوقائية .

الكائنات فوق الطبيعية :

لقد جاءت معظم معطيات المادة الميدانية لدراستنا الحالية لتتفق مع دراسة محمد الجوهرى من حيث استمرار ثبات قوة المعتقد بالكائنات فوق الطبيعية ، بالرغم من توافر عوامل التغير فى مجتمع الدراسة ، ومن صور ثبات المعتقد الكائنات فوق الطبيعية فيما بين أعضاء المجتمع ، نذكر :

تعدد أسماء الكائنات فوق الطبيعية التى يعتقدون فيها وصورها ؛ مثل : الشيطان - الغول - الصُّل - المارد - القرين - الأسياد - بنات البحر أو ملائكة

البحر - البراق - المسيخ الدجال - المومسون(*) .

(*) الشيطان : مرادف لكلمة إبليس ، كلاهما هيئة تختلف عن الإنسان يتسم بالصفات المؤذية وتفرده بإصابة الإنسان بحالات الجنون والتوهان .

الصل : يقصد به فى المعتقد النوبى ، العفريت أو المارد أو روح الشخص المقتول الذى يظهر فى مكان خروج روحه ، يأخذ صورًا وأشكالاً متباينة ، مثل النار من حيث سرعة الظهور وسرعة الاختفاء ، يقول الإخبارى : غالبًا لا يظهر إلا لأصحاب القلوب غير العامرة بالإيمان .

الغول : يتشكل فى صورة حيوان أو طائر ملامحه ضخمة غير مألوفة للإنسان .

ملائكة البحر : (الدجرى) كائنات تعيش فى نهر النيل تشبه الإنسان فيما عدا وضع العينين ، اللتين تكونان فى وضع رأسى بالنسبة لوضعها عند الإنسان ، كما أن الثديين طويلان ، مكتنزان مرفوعان على الكتفين لثقلهما ، هى كائنات معروفة فى المعتقد النوبى بأنها كائنات خيرة ، كما تتعدد مسمياتها ، فتارة يطلق عليها (بنات البحر أو السبع بنات ، الدجرى) لا تصيب الإنسان بأى أذى أو تلحق به أى ضرر فهى طبقًا لتعبير أحد إخبارى المجتمع تحمى أولادنا من الأمراض والموت غرقًا أثناء العوم ، ولعبهم فى مياه النيل ، كما تحمى البالغين من الأمراض الخاصة بالعقم ، ولذا نشأت علاقة تبادل منافع بينهم وبين النساء ، تقوم النساء بتقديم الأطعمة فى مقابل علاجهن من العقم والمشاهرة .

القرين : يقصد به فى المعتقد النوبى كائن لصيق للإنسان منذ ميلاده ، يلازمه عبر مراحله العمرية ، ويحرص على إيذائه بالأمراض ، يعتقد النوبيون أن درء أذى القرين وما شابهه يكون عن طريق عمل الأحجبة .

الأسياد : هم كائنات منها الخير ومنها الشرير ، النوع الخير يكون فى شكل المشايخ الذين نجدهم تائهين فى ملكوت الله يحمدونه ويشكرونه ، وكثيرًا ما يترددون على الحضرات والأذكار ، أما النوع الشرير غالبًا يسكنون تحت الأرض ، مخصصون لأذى الإنسان ، خصوصًا إذا وقع على الأرض ولم يسم الله ، ففى هذه الحال يعتقد أن الفرد مس : أى دخلت هذه الكائنات جسده وتسببت فى مرضه ، خصوصًا إذا كان المكان مهجورًا .

الأرواح : يعنى بها الأرواح التى خرجت من جسدها بطريقة غير طبيعية أى عن طريق القتل أو الحرق ، ويفسر المعتقد الشعبى النوبى أن الروح تظل فى مكان الحادث هائمة ، وهنا يطلق عليها المعتقد : صل أو عفريت فلان . =

استمرار العقلية الشعبية النوبية فى التمييز بين الصور المتعددة للكائنات فوق الطبيعية ، إلى جانب الحفاظ على ترديد الكثير من الحكايات والأساطير التى تصفهم وتحكى عن قدرتهم .

تأسيسًا على ما سبق يتبلور فحوى المعتقد الشعبى النوبى القائم على فكرة الازدواجية فى أن جوهره محوران : الأول النيل الذى يتجسد فيه اعتقاد النوبيين بالكائنات التى ليس لها أضرحة ، ولكن تعيش فى نهر النيل ، ولكن لها فى الوقت نفسه كرامات ووظائف علاجية ؛ مثل بنات البحر أو السبع بنات ، ملائكة البحر ، الدجرى وهم يمثلون مصدرًا للخير والرزق والعطاء وشفاء أمراضهم ، كما أنها تكشف عن مشاعر النوبيين تجاه النيل ، ومدى تمسكهم الشديد به . وفى هذه النقطة يتشابهون مع المصريين عامة ؛ حيث إن كليهما شعب نيلى .

أما المحور الآخر فهو الصحراء التى تمتد بمحاذاة النيل بحكم الظروف الطبيعية العامة لمجتمع الدراسة ، ولكن جاءت الكائنات الحية التى تعيش فيها ؛ مثل : العفريت ، الصل ، الأسياد ، الأرواح ، تجسد لنا اتجاهاتهم للصحراء أنها ترمز للفناء والموت ، حيث إنها بيئة ملائمة لتعيش فيها الحيوانات الضارة ، فجاءت

= البراق : يعنى به الحصان أو الجواد الذى يتسم بالسمات الخارقة ، وجهه يشبه الإنسان ، له أجنحة وأربع أرجل ، لونه أخضر يزين أذنيه بقرط أو خلخال .

المسيخ الدجال : يصوره الخيال برجل يركب دابة يحضر للدنيا ، يشكك الناس فى دينهم يفسد كل ما هو صحيح ، ولكن الملائكة تتصدى لأعماله التخريبية وتفسدها وتبطل مفعولها ، ويؤكد المعتقد الدينى أن السيد المسيح يحضر للدنيا ويقوم بقتله ، ثم يتولى هو أمور الحكم . للمزيد انظر محمد الجوهرى ، مرجع سابق .

معتقداتهم عن الكائنات التى تعيش فيها ، أنها تمثل مصدرًا للمرض ، وأنها تمثل كل ما هو شرير ومؤذ لبنى البشر . وفى هذه النقطة حدث الالتقاء والتشابه بين المعتقدات النوبية ومعتقدات المصريين القدماء ، حيث ربط المصريون القدماء بين تصوراتهم العقلية وبين بعض الرموز ، فجاء فيضان النيل مقابل رمال الصحراء ، فقدس المصرى القوى الإلهية التى جعلت ثمار الأرض تزدهر وتكثر فتزداد وتنمو وتتضاعف أعداد قطعان الأبقار ، وفى الوقت نفسه كان يخشى المصرى القوى الشريرة الحية التى تفسد البذور وتتسبب فى قتل الأبقار ، فتهدد الحياة ، ومن هنا تجسدت الثنائية : الصراع بين فيضان النيل (رمز الخير) ورمال الصحراء (رمز يهدد الحياة بالفناء) ، فالكائنات النهرية ترمز للملائكة ، والكائنات الصحراوية ترمز للشياطين ، إذن فالكائنات النهرية تحمل بعض ملامح من أوزوريس ، وفى الوقت نفسه ترمز للعطاء والهبات[٥٤] .

خامس عشر : الطب الشعبى :

تأسيسًا على معطيات المادة الميدانية لدراستنا الحالية التى تنوه إلى اتساع مظلة الخدمات الصحية وتحسنها فى مجتمع الدراسة (كما سبق أن أشرنا إليه فى موضع سابق) ، فإن الطب الشعبى لا يزال يستخدم فيما بين أعضاء مجتمع الدراسة باختلاف الأجيال والمستويات التعليمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهذا ما سوف نتعرض له بالتفصيل .

فقد جاءت نتائج دراسة محمد الجوهرى لتتفق مع نتائج دراستنا الحالية حول ثبات اتجاه أعضاء المجتمع نحو استخدام العلاج بالوصفات الشعبية ؛ الاعتقاد بالسحر ، والاستعانة بالنباتات الطبيعية فى علاج بعض الأمراض التى لا تزال شائعة فى المجتمع ، وذلك يرجع إلى تميز النسق الأيكولوچى لمجتمع الدراسة

الذى يشكل أضلاع مربعه (النيل والأرض والصحراء والعزلة المكانية) أركانه الأساسية التى تسهم بدورها فى إثراء مجال الطب الشعبى بوصفه عنصرًا من عناصر المعتقد الشعبى النوبى . فقد أسهم كل من النيل والأرض فى تشكيل محاصيل القرية الغذائية والعلاجية ، كما تضامن كل من العزلة النسبية والصحراء لمجتمع الدراسة تعززها قوة التراث الاعتقادى وخبرة كبار السن الذين يمارسون وظيفة التطبيب فى إفراز الكثير من الوصفات العلاجية الشعبية فى مجال الصحة والمرض ، هى كما يأتى :

- فمن النباتات والأعشاب التى تدخل فى « روشتة » العلاج ويشتهر بها فى مجتمع الدراسة نذكر : (الدمسيسة - حلف البر - الحرجل - الحنة - الخروع - الحنظل - السنط - الكمون) . العناصر البيئية الطبيعية الداخلة فى الوصفات العلاجية ؛ مثل : (الرمل ، العطرون ، الطوب الأحمر) .

- كبار السن المتخصصون فى عمل الوصفات الشعبية على مستوى الدائرة القرابية أو وحدة النجع أو المجتمع .. غالبًا ما يتم تقديم هذه الخدمة بغير مقابل (أجر)، فهى كما يقول إخباريو المجتمع تقدم لوجه اللّه وهم (الحجام- المجبراتى).

- متخصصون لعلاج الأمراض التى يكون سببها الاعتقاد فى الحسد أو مس الشيطان أو القرين ، ويتم العلاج بفتح الكتاب أو ضرب الرمل .

ومن الأمراض الشائعة التى يتم علاجها بالطب الشعبى :

الصداع (آلام الرأس) :

من الأساليب الشعبية التى أفرزتها الثقافة النوبية لعلاج الصداع العصبة

(ربط الرأس بالقماش مع المفتاح) ، أو استخدام عجينة الحناء بوضعها على الرأس ، شرب الشاى والليمون . ويعتقد أعضاء المجتمع أن السبب وراء هذا الألم اختزان حرارة الشمس داخل الرأس ، وباستخدام الأساليب السابق ذكرها يتم إخراج الحرارة من الرأس .

آلام البطن :

يقصد بها الآلام التى قد تصيب البطن وما بداخلها من أمعاء ومعدة وكبد وكلى ، وقد أجمعت أقوال الإخباريين على أن السبب وراء هذه الآلام ترجع إلى أوساخ فى الجهاز الهضمى ، أو دخول رطوبة ، وهو ما يسبب الأعراض المرضية ، ومن ثم فإن غلى بعض النباتات مثل الدمسيسة ، الحرجل وحلف البر أو الدمسيسة والكمون ، وإضافة السكر إليها كفيل بأن يزيل جميع آلام البطن ، أما شراب الدمسيسة فهو خاص لعلاج آلام الكلى والكبد .

الإسهال :

تجمع آراء إخبارى المجتمع على أن الإسهال من الأسباب التى تقف وراء وفيات الأطفال الرضع ، ومن ثم نجد أن أعراض الإسهال من أكثر الأعراض التى تعرفها الأمهات النوبيات ، ولذا كثرت حوله الوصفات الشعبية التى لا تزال تستخدم ، بالرغم من توفر محلول معالجة الجفاف من خلال العيادات والمستوصفات بالمجتمع ، فإن الأمهات قد اعتدن أن يبدأن باستخدام عصير الليمون مضافًا إليه البن ، أو غلى قشر الرمان وشرب مائه ، أو إذابة النشا بالماء وإضافة عصير الليمون إليه ، وحين لا يستجيب الإسهال لهذه الوصفات الشعبية تذهب النساء إلى الطبيب ويستخدمن محلول معالجة الجفاف .

الحمى وارتفاع درجة الحرارة :

يمثل ارتفاع درجة الحرارة عرضًا عامًّا لكثير من الأمراض ، ومن الأساليب الشائعة دهن جسم المصاب بالنشا والليمون وعمل كمّادات ماء بارد ، ووضع لبخة الحناء مضافًا إليها القرض بغية امتصاص الحرارة من الرأس أو الجسم ، أو خلط نبات الدمسيسة بعد طحنه بالزيت ، ثم يدهن به رأس المريض وجسمه ، وإعطاء ملين (السنامكى لتنظيف البطن من الأوساخ ، إعطاء مشروبات ساخنة لإفراز العرق) .

آلام المفاصل :

تنتشر الشكوى من آلام المفاصل فيما بين معظم أعضاء المجتمع خاصة لدى كبار السن ، وعادة ما يستخدم الرمل الساخن لدفن الأعضاء المصابة أو الجسم كله فى حفرة وسط الرمال حتى تخرج الرطوبة فى صورة العرق ثم يلف جسم المريض بعد خروجه من الحفرة مباشرة وتقدم له أطعمة ومشروبات ساخنة ، وبعدها يعتقد النوبيون أنه يتم الشفاء ، وذلك لزوال سبب الألم وهو الرطوبة التى بداخل الجسم ، ويلجأ البعض إلى عملية الحجامة لاعتقادهم أن سبب الألم يرجع إلى وجود دم فاسد بالجسم .

آلام الأسنان :

ترجع آلام الأسنان إما إلى انكشاف عصب أحد الضروس وإما إلى التهابات باللثة ، ويرجع ذلك إلى عدم اعتياد أعضاء المجتمع على تنظيف الأسنان باستخدام الفرشاة بعد كل وجبة ، غير أن فئة كبار السن معظمهم لا يزالون

يداومون على استخدام السواك لتنظيف الأسنان قبل كل صلاة اقتداء برسول اللّه ﷺ . ومن الأساليب الشائعة للعلاج استخدام نبات الحرجل بعد غليه للمضمضة به أو بغلى القرنفل أو استخدامه بدون غلى ؛ أى وضعه صحيحًا على الجزء المصاب من أجل تسكين الألم وشفاء القروح التى بالفم ، كذلك يستخدم أحيانًا المحلول الملحى بوصفه مضمضة لإزالة الألم أو تخفيفه . أما فى حالة التهاب اللسان عادة ما يشيع استخدام لبن الحمير لكثافة قوامه فيعمل طبقة على اللسان تسهم فى تلطيف شدة الالتهاب .

التهاب العيون :

يشيع استخدام لبن الثدى للعلاج بوصفه نوعًا من القطرة لتلطيف حدة التهاب العين ، أو المحلول الملحى لإزالة الأوساخ وغسيل العين ، واستخدام الكحل لزيادة جمال العين واتساعها وتنظيفها من الأوساخ ، بدليل شيوع عادة تكحيل عين المولود بعد الولادة مباشرة تارة بماء البصل(*) ، وتارة بالكحل ، أما النساء فيستخدمن نوعين من الكحل : الحجرى (الذى يشترى من العطار) ، والكحل البلدى (يصنع منزليًا) .

الدمامل والجروح :

الدمـامـــل : هى نوع من الالتهابات الجلدية غالبًا ما تكون مملوءة بالصديد الذى يتسبب فى نوع من الألم وارتفاع درجة الحرارة ، ولذا يحرص أعضاء المجتمع على تفريغ الدمامل من الصديد لإزالة الألم ، ومن الأساليب المستخدمة

(*) تغمس ريشة حمامة فى بصلة ثم تكحل بها العين .

لتخفيف الألم (اللبخة والعجينة)[*]، يوضع على الدمامل ويعتقد أنه يسحب الصديد للخارج ، فيزول الألم .

الجروح :

حدوث تهتك أو تشريط فى أنسجة الجلد يتسبب عنه نزول كميات من الدم ، يشيع استخدام اللبن ، مسحوق الطوب الأحمر ، مسحوق الحجر الجيرى ، العطرون بوضعه فى الجرح لمنع نزول الدم ، وفى الوقت نفسه يمنع دخول أى أوساخ تتسبب فى تقيح الجرح ، كما يساعد على تكوين قشرة خارجية تؤدى إلى التئام الجرح .

الكســـور :

من الطرق الشعبية الشائعة فى المجتمع لتثبيت العضو المصاب (بالكسر أو الرضخة) هى لزقة البيض (خليط البيض والدقيق) ، وبعد قيام المجبر بتدليك العضو بالماء الساخن والملح أو الزيت الدافئ يقوم بشد العضو المصاب لإرجاعه إلى وضعه الطبيعى ، ثم يقوم بفرد اللزقة ومعها شعر الماعز ، بالإضافة إلى بعض قطع الخشب (من جريد النخيل) تربط حول العضو ، كما قد تستخدم لزقة البامية[**] بوضعها على العضو المصاب بغية امتصاص الورم والألم ، وتستمر اللزقة على العضو حتى تفك ، وهذا دليل على التئام العضو المصاب ، أما فى حالة العضو المرضوخ يكتفى بتدليك العضو وشده لإرجاعه إلى وضعه الطبيعى .

(*) دقيق يعجن بالماء والسكر والملح .

(**) مسحوق البامية الجاف يعجن بالماء ثم يوضع على النار لإتقان مزجه .

آلام الأذن :

من أساليب العلاج الشعبى لآلام الأذن وضع البصلة الساخنة داخل الأذن ، اعتقادًا أن سبب الألم هو دخول قطرات من الماء داخل الأذن ، بسبب الاغتسال فى نهر النيل . وقد يكون بسبب وجود ديدان . ففى الحالة الأولى يكون العلاج بأخذ قلب البصلة الساخنة وتسخينها ووضعها فى الأذن ، والحالة الأخرى يكون بتدفئة زيت الخروع أو الكتان ثم تقطر الأذن منه .

آلام اللوزتين :

يعد كل من نبات الحرجل والشيح من أكثر الوصفات الشعبية الشائع استخدامه لعلاج آلام اللوزتين ؛ وذلك بغليها وعمل مضمضة لإزالة الصديد أو التهاب اللوزتين ، ثم شرب جزء منه ، كما يقدم للمريض البيض المسلوق وحثه على تناوله وهو دافئ ليساعده على إزالة الصديد المتراكم فوق اللوزتين .

الزكام والأنفلونزا :

من الوصفات العلاجية الشائع استخدامها لعلاج نزلات البرد والزكام والأنفلونزا الإكثار من تناول الأطعمة ذات الرائحة النفاذة مثل البصل النيئ والمشوى ، أو استنشاق رائحته بغية فتح الأنف فى حالة شدة الإصابة بالزكام ، أو استنشاق عادم سكر أو دخان قطعة قماش محروقة ، فإن ذلك يساعد على فتح الأنف المسدودة إلى جانب حرصهم على تناول الأعشاب الطبية ساخنة مثل (الحرجل - حلف البر - شاى بالليمون - ورق الجوافة والعرقسوس - منقوع اللبان الدكر فى حالة السعال أو الكحة) ، وذلك للاعتقاد أن هذا يساعد على التخلص من البلغم المتراكم على الصدر .

الحروق :

يؤكد إخباريو المجتمع على شيوع استخدام الزهرة الزرقاء ، والبيض بالزيت ، واللبن ومعجون الحناء بوضعه على العضو المحروق ؛ وذلك لتخفيف الألم .

لدغ (العقرب والثعبان) :

تكثر الإصابة بلدغ تلك الحشرات صيفًا نظرًا لطبيعة البيئة الصحراوية فى مجتمع الدراسة ، ومن أساليب العلاج : الرقية ، يقوم بها رجل متخصص ممن ينتمون إلى الطريقة الرفاعية ويحمل العهد ، ويتم العلاج بتلاوة بعض الأدعية على العضو الملدوغ حتى يتجمع السم فى مكان يد الشيخ ، ثم يقوم بعدها بعملية الفصد (التشريط لإخراج الدم الفاسد) ، وذلك من خلال مصه بوساطة الفم ، ثم يبصق ويكرر هذه العملية حتى يخرج السم من جسم المصاب .

الحجامة أو الفصد :

يقصد به تخفيف الاحتقان الدموى أو التخلص من الدم الزائد أو الفاسد ، ويؤكد أحد المعالجين الشعبيين فى المجتمع شيوع هذا الأسلوب فى العلاج لاعتقادهم أنها وسيلة تؤدى إلى تنشيط الدورة الدموية وتخلص الجسم من الآلام عن طريق خروج الدم الفاسد أو الزائد المتسبب فى حدوث الصداع وآلام المفاصل .

العلاج بالأحجبة والطقوس السحرية :

يقصد بالأحجبة استخدام بعض الآيات القرآنية(*) ، وعادةً ما تكتب بالحبر

(*) آية الكرسى والمعوذتين .

الأحمر أو الأخضر فى أوراق صغيرة وتحفظ فى غلاف مصنوع من الجلد أو القماش أو المعدن بغرض حمايته من التلف ، ثم يقوم المريض بوضعها فى أماكن بعيدة عن العيون فى جيبه أو محفظته ، وذلك لاعتقادهم أن هذه الآيات تقضى على الأعراض المرضية التى يكون سببها : مس الشيطان أو القرين أو الحسد ، ويقوم بهذا العلاج فئتان من الناس :

الفئة الأولى : رجل الدين ويطلق عليه الشيخ الذى يقوم بقراءة أو تلاوة الآيات القرآنية اقتداءً برسول الله ﷺ لعمل الحجاب الذى يحتوى على آيات من القرآن أو يقوم بتلاوة القرآن على كمية من الماء ، ثم يطلب من المريض شربها بغرض الشفاء ، ويعرف هذا العلاج (بالرقى أو البسملة) .

الفئة الأخرى : هم السحرة والمشعوذون الذين يستغلون جهل الناس ولهفتهم على معرفة سبب المرض وعلاجه ، ومن الأمراض التى يقوم بعلاجها المشعوذون : العقم والجنون والمس . ومن الأساليب الشائع استخدامها السحر ... وذكر محمد الجوهرى فى دراسته واتفقت نتائج دراستنا الحالية معها على استمرار شيوعها فى المجتمع ، وهى على النحو الآتى :

العلاج بدقة الزار :

هى عبارة عن حفل تحضره فرقة نسائية تتولى العزف بالدق على الطبول وتساعد المريضة على الحركة والرقص بغية إخراج القرين من جسمها .. يتم التجهيز لهذا الحفل بشراء طلبات القرين من أطعمة ومشروبات وملابس وبخور .

العلاج بالأعمال السحرية :

مثل : فتح الكتاب ، وكشف الأثر بغية معرفة سبب المرض ، وذلك بأخذ

جزء من ملابس المريض (أى بها ريحة جسمه) وإعطائها للمشعوذ بغية التعرف على سبب المرض .

العين الشريرة (الحسد) :

يؤكد إخباريو المجتمع أن الحسد هو السبب المباشر فى عدم الإنجاب (العقم) ، ومن الأساليب العلاجية الشائعة أن تقوم المعالجة بفصد رِجْل المرأة ، ثم تتتوجه المرأة للنيل لغسل الوجه والرجلين بمياه النيل بوصف ذلك نوعًا من التبرك ، ثم بعدها تقوم المرأة المريضة بإلقاء العصيدة فى النيل ، ثم بعدها تستقل المرأة مركبًا شراعيًا قاصدة به الضفة الشرقية ، وتحرص المرأة فى رحلتها إلى الضفة الشرقية على أن تأخذ كمية من مياه النيل معها إلى منزلها ورشها فى أركان المنزل . ويعتقد النوبيون أن عملية الانتقال من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية من خلال النيل تمثل العلاج الذى من خلاله يتم زوال سبب العقم الذى قد يكون سببه ارتكاب بعض المحظورات فى فترة الخطوبة ، مثل إتيان الأماكن المهجورة ، وبناءً على ذلك فهناك مجموعة من الطقوس التى يراعى القيام بها كلا العروسين قبل يوم الزفاف ، والتى تعكس بدورها معانٍ رمزية للعلاقة بين النيل والنوبيين ، ومن هذه الطقوس نذكر : يزف العريس فى موكب من الأقارب والأصحاب قاصدين نهر النيل بغية الاغتسال بمائه ، ثم ارتداء الملابس الجديدة الخاصة بالعريس ، ثم يتوجه إلى منزل العروس لعقد القران ، وتعرف هذه الزفة بزفة النيل أو البحر . أما ليلة الزفاف فعادة ما يذهب العروسان لزيارة النيل فى موكب مصحوب بالغناء والطبل ، ثم يقوم العريس بكشف وجه عروسه ويقبلها فى جبينها ، ثم يسارع كل منهما إلى رش الآخر بماء النيل ويشاركهما جميع

الحضور . ويرجع تمسك النوبيين بهذا الطقس حتى الآن إلى اعتقادهم أن رش العروسين بمياه النيل يرمز إلى الخير وسعة الرزق وإنجاب الأطفال . كما يراعى العريس طوال أيام الأسبوع الأول من زفافه أن يذهب للاغتسال فى النيل والتقاط بعض من النباتات الخضراء وإحضارها معه إلى عروسه فى حجرته ، وتحرص العروس على تعليقها خلف سرير نومها ؛ وذلك لاعتقادها أن ذلك يحميها من المشاهرة (الكبسة) ؛ ذلك لأن هذا النبات يحمل مياه النيل الذى يحمل بدوره خصائص النيل وهى : العطاء ، الخير ، إنجاب الأطفال .

ضرب الرمل :

من أساليب العلاج السحرى الشائعة حتى الآن ، وتتم بأن يضع المريض كف الأيدى على كوم من الرمل ، أما السيدة التى تقوم بعملية ضرب الرمل فيطلق عليها (فاتحة الرمل) ، وبمجرد أن تطبع كف المريض على الرمل تضع سبع ودعات فى كفه ثم يغلق عليها ، بعدها تعلن السيدة عن المتسبب فى الحسد (رجل أو امرأة) ، ثم تقوم بصنع عروس من الورق ، وتقوم بوخزها بإبرة مع ذكر أسماء الناس المحتمل أن يكونوا قد تسببوا فى الحسد (من عين فلانة) ثم تشعل النار فى العروسة حتى تحترق ، وتأخذ بقاياها (الصحجم) ، وتقوم برسم صليب على وجه المريض ، ويعتقد أن ذلك كفيل بأن يزيل السبب ويتم الشفاء .

وتأسيسًا على ما سبق عرضه ، نخلص إلى التأكيد على استمرارية أساليب العلاج بالطب الشعبى جنبًا إلى جنب مع الطب الرسمى ، نظرًا لتوفر خدمة الطب الرسمى فى المجتمع (وحدة صحية - مستشفى القرية - عيادة خاصة) ، وتوفر المواصلات السريعة للاتصال بمدينة أسوان . ولكن من اللافت للانتباه لجوء

معظم المتعلمين لخدمة الطب الرسمى فى الدرجة الثانية ؛ بمعنى أنه حين يظهر أى عرض مرضى يبدأ بالاستعانة بالعلاج المنزلى أو أساليب الطب الشعبى ، وعندما تسوء الحالة يلجأ إلى الطب الرسمى وذلك بسبب ثبات أساليب الطب الشعبى بمجتمع الدراسة ؛ وذلك يرجع إلى نظام السكن القرابى المشترك (بعد الزواج) ، ولكن هناك استثناء من هذه القاعدة يجعل معظم أعضاء المجتمع يلجأون إلى الطب الرسمى وذلك فى حالة لدغ العقرب أو الثعبان أو إسهال الأطفال ، نظرًا لتوفره وانخفاض تكاليفه بالصيدليات .

مناقشة النتائج :

تأسيسًا على ما سبق ، سنجد أن هناك علاقة تفاعل بين ثقافة مجتمع الدارسة (غرب أسوان) بما فيها من عادات دورة الحياة ، المعتقدات ، المعارف الشعبية والطب الشعبى من ناحية ، وبين النسق الأيكولوچى وطبيعة البيئة الاجتماعية التى يوجد فيها من ناحية أخرى ؛ حيث إن :

١- مجتمع الدراسة نوبى (السلالة) يعد جزءًا من نسق أكبر هو المجتمع المصرى .

٢- ثقافة مجتمع الدراسة ثقافة فرعية تعد جزءًا من نسق ثقافى أعم هو ثقافة المجتمع المصرى .

٣- تمثل كل من الثقافة النوبية (عادات دورة الحياة ، المعتقدات ، المعارف الشعبية بالطب الشعبى) نسقًا جزئيًا يوجد فى نسق أعم .

٤- كما كشفت الدراسة الميدانية عن علاقة الارتباط والتفاعل بين النسق

الأكبر للمجتمع المصرى والنسق الفرعى مجتمع غرب أسوان التى جمعت بين العمومية والخصوصية . وعلى المستوى الإمبريقى فقد كشفت الدراسة الميدانية أن معظم التغيرات التى حدثت ولا تزال تحدث فى مجتمع الدراسة ما هى إلا انعكاس لتلك التغيرات التى تحدث فى المجتمع المصرى بصفة عامة ، من ذلك التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى شملت المجتمع المصرى بعد قيام ثورة عام ١٩٥٢ ، وإعلان الجمهورية ، ثم مبادئ المجتمع الاشتراكى الذى أخذ على عاتقه توسيع مظلة الخدمات والمؤسسات التعليمية الصحية والخدمية بالمجتمع المصرى ، بجميع قطاعاته وثقافاته الفرعية ، فنتج عنه زيادة الاتصال بين كل من المناطق الريفية بالمناطق الحضرية التى تقع فى إقليمها الجغرافى (المحافظة) ، هذا يمثل واحدة من مظاهر التغير الذى أسهم فى القضاء على عزلة الكثير من المجتمعات والثقافات الفرعية ، وسهّل عملية الاتصال الثقافى بين الثقافة الأم بالثقافات الفرعية .

- وعلى المستوى الأدنى تعرضت قرية غرب أسوان لضغط سكانى بسبب إنشاء خزان أسوان فى عام ١٩٠٢ ، وحدوث ثلاث موجات متتابعة من الهجرة من بلاد النوبة الواقعة خلف الخزان ؛ الأولى بعد إنشاء الخزان نفسه سنة ١٩٠٢، حيث ارتفع منسوب المياه أمامه وتعرضت الأراضى الزراعية الواقعة جنوبى أسوان للغمر بمياه التخزين سنويًا ، ثم الموجة الثانية فى عام ١٩١٢ ، بعد التعلية الأولى للخزان ، أما الثالثة فكانت فى عام ١٩٣٣ ، كما تعرضت فى العام نفسه لهجرة بعض الأهالى من جزيرة أسوان بسبب حدوث ضغط سكانى على الأراضى الزراعية الموجودة بها .

- وعلى المستوى الأكثر تحديدًا تتضح خصوصية ارتباط النسق الثقافى (عادات دور الحياة - المعارف الشعبية - الطب الشعبى) للمجتمع النوبى عامة بما فيه مجتمع الدراسة بالنسق الاعتقادى الذى يسيطر على مجتمع الدراسة باختلاف نجوعه وشرائحه الاجتماعية .

وتلك المعتقدات التى تدور حول المشاهرة ، كيفية إحداث العقم - الممارسات المرتبطة بعلاج العقم - وكيفية الوقاية من الحسد والعين الشريرة ، وعلاقة ذلك بحماية العروسين من الأعمال السحرية (الربط) ، والطقوس اللازمة للاحتفال بالأعياد الشعبية ، ويتجسد ذلك فى نثر مياه النيل فى أركان المنزل ، وتقديم الطعام لملائكة البحر ، اعتقادًا أن ماء النيل بما فيه من كائنات تقوم بوظيفة حمايتهم وحماية أبنائهم من الأمراض ومن الغرق واستمرار عادة زيارة العروسين أضرحة الأولياء قبيل ليلة الزفاف ، ذلك لاعتقادهم فى قدرة الأولياء على دفع الضرر الذى يمكن أن يصيب العريس بالعجز الجنسى وشفاء مرضاهم ، إلى جانب استمرار اعتقادهم بكرامات الأولياء فى تنظيم أمور حياتهم اليومية ؛ مثل حل المنازعات والصراعات على كافة المستويات (الجماعة القرابية أو الأسرة) ، كما كشفت الدراسة عن قوة اعتقادهم فى تعدد أسماء الكائنات فوق الطبيعية وصورها التى لا يزالون يعتقدون فيها ؛ مثل : الشيطان ، الصل ، الطول ، المارد ، القرين ، الأسياد ، بنات البحر ، البراق ، إلى جانب قدرة العقلية الشعبية النوبية على التمييز بين هذه الصور المتباينة من الكائنات فوق الطبيعية ، ويتبلور ذلك فى كثرة الأساطير والحكايات التى تروى وتردد لتصف قدراتهم ، وفى تباين تلك الأساطير والحكايات .

- كما كشفت المادة الإمبريقية عن خصوصية الالتقاء والتشابه ؛ المتمثلة فى فحوى المعتقد الشعبى النوبى؛ القائمة على فكرة الازدواجية بين النيل والصحراء .

فالمحور الأول (النيل) يظهر فى اعتقاد النوبيين فى الكائنات التى ليس لها أضرحة وتعيش فى نهر النيل ، ولكن لها فى الوقت نفسه وظائف وكرامات علاجية ؛ مثل (بنات البحر أو السبع بنات ، الدجرى) وهى فى عقيدتهم تمثل رمزًا للخير والرزق والعطاء ، ومصدرًا لشفاء أمراضهم ، كما أنها تكشف عن مشاعر النوبيين تجاه النيل ومدى تمسكهم الشديد به ، وفى هذه النقطة يتشابهون مع المصريين عامة من حيث إن كليهما شعب نيلى .

المحور الثانى (الصحراء) التى تمتد بجوار النيل بحكم الظروف الطبيعية العامة للمجتمع النوبى ، فجاء اعتقادهم فى أن جميع الكائنات التى تعيش فيها (ومنها العفريت - الصل - القرين) تمثل مصدرًا للمرض ولكل ما هو شرير ضار لبنى البشر ، فجاءت معتقدات النوبيين عن الكائنات فوق الطبيعية لتتلاقى وتتشابه مع معتقدات المصريين القدماء ؛ من حيث ربط المصريين القدماء تصوراتهم العقلية ببعض الرموز ، فجاء فيضان النيل مقابل الرمال والصحراء ، فعبد المصريون القوى الإلهية التى جعلت ثمار الأرض تزدهر وتضاعف أعداد قطعان الأبقار ، وفى الوقت نفسه كان المصرى يخاف ويخشى القوى الشريرة التى تفسد النذور وتقتل الأبقار فتهدد مظاهر الحياة . ومن هنا تجسدت ثنائية الصراع بين فيضان النيل (رمز الخير) ورمال الصحراء (رمز تهديد الحياة والفناء) ، فالكائنات النهرية ترمز للملائكة والكائنات الصحراوية ترمز للشياطين ، والكائنات النهرية تتضمن بعض ملامح وصفات من أوزوريس وترمز

فى الوقت نفسه إلى العطاء والهبات .

- كما أظهرت نتائج الدراسة الميدانية خصوصية التفاعل بين النسق الأيكولوچى لمجتمع الدراسة الذى أسهم بدوره فى إثراء المجتمع بالنباتات والأعشاب البرية الطبية من ناحية ، والعزلة المكانية النسبية من ناحية أخرى ، فتجسد ذلك فى خبرة كبار السن والمطببين الشعبيين فى مجتمع الدراسة ، وظهر أثر ذلك فى تعدد أساليب العلاج الشعبى ، وهى :

- العلاج بالنباتات والأعشاب البرية (حلف البر - الدمسيسة - الحرجل - الحناء - الحنظل) .

- علاج أمراض مثل الحسد والمشاهرة والعقم والمس ؛ وهى الأمراض التى قد ترجع أسبابها إلى الاعتقاد فى الكائنات فوق الطبيعية (الشياطين والقرين) ، وذلك باستخدام الأحجبة والطقوس السحرية .

ويطرح نسق الثقافة النوبية ميكانزمات تتباين بتباين جزئيات النسق للتكيف مع التغيرات الاجتماعية والثقافية التى حدثت فى البناء الاجتماعى .

وتفصح الدراسة انطلاقًا من قضايا النظرية الوظيفية أن التفاعل المتبادل بين النسق الثقافى والأنساق الأخرى قد تسبب فى أن يفرز النسق الثقافى ميكانيزماته للمحافظة على التوازن والتلازم بين التغيرات التى تحدث فى البناء الاجتماعى والثقافى (سواء فى مجتمع الدراسة أو المجتمع المصرى) من ناحية ، والنسق الثقافى من ناحية أخرى ؛ وذلك على مستويين هما :

الأول : يتم فيه تغيير نسق الثقافة ، أجزاء منه ، حتى يستطيع أن يتواكب مع

التغيرات الأخرى فى البناء الذى توجد فيه .

الثانى : يتم فيه محافظة النسق (مجتمع الدراسة - المجتمع المصرى عامة) على بعض الجوانب التى تأخذ بخاصية الثبات ، بوصف ذلك نوعا من التوازن الذى يبقى النسق فيه بمنأى عن الاندثار أو التغيرات التى تهدد استمرار هويته . وكشفت الدراسة الميدانية أن التغيرات الاقتصادية (هجرة - ظهور أنشطة اقتصادية جديدة - ظهور كشف أثرى جديد) التى حدثت بمجتمع الدراسة قد أدت إلى تغير النسق الثقافى والاجتماعى وبعض جوانبه تلاؤما مع هذه التغيرات ؛ نذكر - على سبيل المثال - ارتفاع قيمة وكمية ونوعية النقوط المقدمة للسيدة الواضعة ، (عادات الميلاد) العروس (عادات الزواج) على مستوى الأسرة والجماعة القرابية اتفاقا مع ارتفاع كل من الدخول والأسعار ، وظهور الشبكة (حلى وأساور ذهبية) وارتفاع قيمة المهر ، وتعدد أنماط جهاز العروس ؛ سواء من حيث الكم (ثلاث حجرات) ، وبناء المسكن بالمسلح ، وتزويده بجميع الكماليات ومرافق السكن الحضرى من حيث الطلاء بالزيت الملون ، ودورات المياه الحديثة (قيشانى ، سيراميك ، دش) والسخانات الكهربائية والمراوح والثلاجات والتليفزيون ، والمكواة ، والڤيديو ، وأوانى التيڤال ، وأطقم الصينى (شاى - أكل) .

- كما أسهمت التغيرات الاقتصادية بدور فى إحداث تغير فى العادات المصاحبة للموت من حيث ظهور أجهزة التسجيل وأشرطة القرآن الكريم مع مقرئ النجع ، واستخدام فاكهة الموسم عند زيارة المقابر .

- كما أدى انتشار التعليم إلى تغير بعض العادات من حيث اتجاه المتعلمات

إلى الاتجاه للوضع (التوليد) على يد الطبيب ، أو فى العيادات الخاصة بمدينة أسوان بدلاً من الداية ، والأخذ بنظام المباشرة والمتابعة الطبية طوال فترة الحمل ، واستخدام الجهاز الصوتى لمعرفة نوع الجنين والاتجاه إلى شراء ملابس جاهزة للمولود إلى جانب ما يتم إعداده . كما أسهم التعليم فى ظهور نمط الاختيار الذاتى للزواج بالنسبة للفتيان (الذكور) ، سواء من داخل الجماعة النوبية أو من خارجها ؛ مثل زميلات العمل والدراسة من مدينة أسوان أو بعض مدن ج . م . ع ، بدلاً من الاختيار القرابى ، فى حين ظل اختيار الإناث قاصرًا على الاختيار من داخل الجماعة النوبية داخل المجتمع أو خارجه (بقية بلاد النوبة) .

- كما أدت التغيرات فى نسق الخدمة الطبية إلى الاتجاه إلى الوضع (الولادة) فى المستشفيات والعيادات الخاصة فى الحالات المتعسرة ، إلى جانب الاستعانة بطبيب الوحدة الصحية للتأكيد على وقوع الوفاة .

- تظهر نتائج الدراسة أن هناك نوعا من الثبات النسبى يتخطى كلاً من المتغير الاقتصادى ومتغير التعليم فى بعض ممارسات وعادات دورة الحياة والطب الشعبى والمعتقدات والمعارف ، لحفظ توازن النسق ، ومن ذلك الثبات فى الوسائل التقليدية المستخدمة فى علاج العقم ، والنتائج المترتبة على عدم تلبية طلبات السيدة « الوحمانة » ، وإقامة حفل السبوع والختان للذكور ، واستمرار وظيفة النساء القريبات فى القيام بالمهام الأولى فى المراحل التمهيدية للزواج ، كذلك ثبات التفاعل والتماسك القرابى فى جميع ممارسات دورة الحياة وعاداتها . ويفصح التراث الأنثروبولوچى للثقافة المصرية عن أن بعضا من هذا الثبات يستمد روافده من تعاليم الشريعة الإسلامية ، وينعكس ذلك بدوره على

مدى عمومية هذا الثبات بين النوبيين باختلاف انتماءاتهم الإثنية ، كما تبين الدراسة أيضًا ثبات تفضيل اختيار الأسماء القرابية إلى جانب الأسماء الحديثة ، والاتجاه نحو كثرة الإنجاب عامة وإنجاب الذكور بصفة خاصة ، وفطام الطفل بعد حولين ، والاهتمام بالكفن الشرعى وعمليات التلقين ، وثبات العلاج المنزلى والشعبى بوساطة المطببين الشعبيين ، إلى جانب العلاج بالطب الرسمى ، وثبات اعتقادهم بضرر الكائنات فوق الطبيعية التى تعيش فى الصحراء ، وحبهم للكائنات التى تعيش فى النيل أو البحر ؛ التى ترمز إلى الخير والرزق وكرامات الأولياء والمداومة على زيارتهم قبل ليلة العرس ، وأثناء الإصابة بالمرض وفى الأعياد ، واستمرارية الاحتفال بهم بالرغم من انتشار التعليم فى مجتمع الدراسة .

- تكشف الدراسة عن تباين مكونات النسق الثقافى (بمستوييه المادى واللامادى) عن التغير من حيث معدلات التغير فى الشكل والمضمون والوظيفة وسرعة التغير .

- تشير النتائج الميدانية إلى أن عوامل التغير قد تؤثر فى الشكل الخارجى ، بينما يظل المضمون والوظيفة بدون تغير ، ومن ذلك تغير شكل الاحتفال ، فاستحدثت احتفالية الشبكة وعقد القران وطقوس الحناء ، وفستان العروسة وحلاقة العريس ، وزينة العروس لدى الكوافير ، واستخدام اللمبات الكهربائية الملونة للزينة ، واستخدام الفرق الموسيقية والغنائية ، واستخدام أجهزة التسجيل فى العادات المصاحبة للموت ، وبناء المسكن بالطوب الأحمر وحديد التسليح ليكون ذا طوابق متعددة ، فى حين كشفت الدراسة أن هناك تغيرًا قد حدث فى

بعض جزئيات المضمون ووظيفتها ، بينما ظل الشكل العام الخارجى للظاهرة مثل بقاء صحن المسكن (الحوش) ملحقًا بالمسكن الحديث ، وبقاء الفرن لتصنيع الخبز ، نظرًا لارتفاع سعر الدقيق بالرغم من كثرة المخابز والأفران الخاصة ، ولتصنيع « العيش » البلدى فى مدينة أسوان .

- تبين الدراسة أن هناك اختلافًا فى سرعة الاتجاه نحو التغير داخل مكونات النسق الثقافى الاجتماعى لمجتمع الدراسة :

أ - فالجوانب المادية أكثر الجوانب ميلا إلى التغير ، كطريقة بناء المسكن النوبى ، واختيار الأثاث ، وارتفاع سن الزواج للذكور والإناث ، ونظام الزواج الخارجى ، وتفضيل نمط الأسرة النووية بدلاً من الممتدة ، وتعدد الصور الاحتفالية الخاصة بالزواج (احتفالية الشبكة - عقد القران - الحناء - الزفاف) .

ب - أما الجوانب اللامادية فهى أقل الجوانب ميلاً إلى التغير ، بل أكثرها ميلًا إلى الثبات النسبى ، ومن مظاهر ذلك : علاج المشاهرة ، والحسد ، واستخدام العلاج الشعبى (الاعتقادى - بالأعشاب) ، واستمرارية الاعتقاد فى كرامات الأولياء ، وزيارتهم والاستعانة بهم فى كثير من أمور حياتهم ، والاعتقاد فى أن الكائنات فوق الطبيعية تضر وتنفع .

- أفصحت الدراسة عن العوامل وراء استمرارية خاصية الثبات فى مجتمع الدراسة ؛ وهى :

١- استجابة الأجيال المتعاقبة لظروف حياة متشابهة ، ولكن مع التحفظ النسبى بأن التغير وارد ومستمر ، ولكن بدرجات متفاوتة طبقًا لنتائج الظروف العامة التى يعيشها المجتمع وتجربته التاريخية الخاصة به عبر الزمان .

٢- عملية الغرس الثقافى (التنشئة الثقافية) التى تعد أحد الميكانيزمات الجوهرية فى عملية الاستمرارية ، والتى أسهمت فى غرس كثير من المعتقدات والعادات والطقوس النوبية ، وذلك بغية المحافظة على الهوية النوبية فيما بين الثقافات الفرعية الأخرى داخل المجتمع المصرى ، ومن ثم حرصت الأجيال القديمة (الآباء- الأجداد) على تكريس طريقة الأداء الجماعى الذى يتطلب بدوره أن تصطحب الأجيال الكبيرة الأجيال الصغيرة بغية توفير القدوة (جيل الآباء والأجداد) التى تعزز بدورها تقليد الأجيال الصغيرة للأجيال الكبيرة .

٣- الثبات النسبى للظروف البيئية العامة التى يعيش فى ظلها أعضاء مجتمع الدراسة أسهم فى جعل العلاقة القائمة بين أعضاء مجتمع الدراسة وعناصر بيئتهم الطبيعية قائمة على التبادل والتفاعل ، وحافظ على استمرارية خاصية الثبات النسبى[٥٥] (Alhyn and Baconc, 1992, 332) .

- وقد أفصحت الدراسة عن أن التغير فى مجتمع الدراسة يسير فى حركة من الصاعد إلى الهابط ، حيث يبدأ بأن تقبله الفئة المتعلمة من الذكور والإناث ، وبعد إرساء التقبل يبدأ فى الانتشار فيما بين الجماعات القرابية على مستوى النجع . إلى جانب الانتشار طبقًا لمعيار التعليم ، فهناك أيضًا الانتشار الجيلى الذى قد يتم بين الجيل الأصغر من المتعلمين الذين يعملون خارج حدود المجتمع (الهجرة الخارجية أو الداخلية) ، وكبار السن أو بقية الأعضاء الذين يقيمون داخل المجتمع ، حيث يتقبلون بعض اتجاهات التحديث مثل (بناء المسكن الحضرى ، واستحداث نشاط اقتصادى جديد ، والذهاب إلى الطبيب) ثم ينقل ذلك بالتدريج إلى كبار السن .

- وتشير الدراسة إلى أن هناك اندثارًا لبعض الممارسات والعادات التى لم تعد تتلاءم مع التغيرات التى يقبلها المجتمع ، ومن ذلك اندثار عادة الالتزام بالزواج القرابى ، وتأخر سن زواج الفتاة ، واستخدام أوانى الطبخ النحاسية ، ونقل السيدات الماء الخاص باستحمام الأسرة من النيل ، وانحسار عادات التعديد والندب وتلطيخ الجسم والوجه بالصماد (الصجم - الهباب - الطين) بسبب انتشار التعليم والوعى الدينى .

- كشفت الدراسة عن الأسباب أو العوامل وراء خاصية التغير فى مجتمع الدراسة ، والتى تتمثل فيما يأتى :

١ - لا نستطيع أن نغفل قرب مجتمع الدراسة من مدينة أسوان ، وهو ما أدى إلى اتصال ثقافى أثر فى تغير كثير من الاتجاهات والعادات مثل : بناء المسكن المسلح ، واستخدام الأجهزة الكهربائية المنزلية ، واستخدام العيش الجاهز الصنع ، وذهاب العروسة إلى « الكوافير » ، واستحداث احتفالية الشبكة وتغير شكلها ، والذهاب إلى « المصوراتى » لأخذ صورة الزفاف للعروسين ، واستئجار فستان الفرح ، واستخدام اللمبات الكهربائية بدلاً من الفوانيس للزينة فى احتفالية الزفاف ، والاستعانة بالفرق الراقصة لإحياء ليلة الزفاف ، والاستعانة بمكبرات الصوت فى المآتم والأفراح ، واستبدال زجاجات الكوكاكولا بأكواب الشربات المصنع بالمنزل وذهاب السيدة الحامل إلى الطبيب (نظام المتابعة) ، وتفضيل الوضع فى المستشفيات والعيادات الخاصة بدلاً من المنزل ، ودخول جميع وسائل الإعلام المسموع والمرئى نتيجة لدخول الكهرباء .

٢- توافر الخدمة التعليمية بجميع مراحلها حتى التعليم الجامعى (مدينة

أسوان) .

٣- خروج المرأة النوبية للعمل داخل المجتمع وخارجه، فى الوظائف الحكومية (التعليم - الأعمال الكتابية) ، ومن ثم زاد تقبل المجتمع للتغير ولانتشار بعض المظاهر الثقافية أو استمرارها أو اندثارها .

٤- كشفت الدراسة عن خصوصية الثقافة النوبية المتمثلة فى الميل إلى الازدواجية .

- التوصيات :

توصى دراستنا بالإكثار من الدراسات الأنثروبولوچية والفولكلورية لمعرفة المزيد عن الجماعات الإثنية فى المجتمع المصرى ، بهدف تحقيق خطى مسرعة نحو التفاهم والتعارف والتكامل على المستوى الاجتماعى والثقافى بحيث يسهم ذلك فى دفع عجلة التنمية لمجتمعنا الأكبر .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE LA RECHERCHE ET DES ETUDES
عضو اتحاد الجامعات العربية

الهوامش

١- نجوى عبد الحميد ، دراسة تتبعية لملامح التغير فى قرية غرب أسوان ، رؤى منهجية وواقعية للتغير ، ورقة قدمت إلى مؤتمر التنمية المحلية المنعقد فى معهد الخدمة الاجتماعية العالى بأسوان ١٩٨٩ ، ص١ .

٢- محمد الجوهرى ، بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان ، دراسة أنثروبولوجية لأحد المجتمعات النوبية ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧٥، ص٦.

3- W. Lawrence Neuman , Social Research Methods Qualitative and Quantitiative Approaches , by Allyn F. Bacon , Aviacom Company Printed in the United States , p. 384 .

٤- جوردن مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهرى ، وأحمد زايد وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠، ص ص ٤٣٢، ٤٣٣.

5- Neil Smelser, Social Paralysis and Social Change : New York , 1991 , P. 280 .

6- Moore , W. E. , Social Chang , Englwood Cpiffe , Prentice , Hall Nj. , 1974 .

٧- بوتومور ، تمهيد فى علم الاجتماع ، الطبعة الثالثة ، ترجمة محمد الجوهرى وزملائه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢، ص ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

8- Radcliff - Brown , A , On Social Structure Journal of The Royal Anthropological Institue , 1985 , p. 16 : 22 .

٩- أحمد زايد واعتماد علام، التغير الاجتماعى، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص ٢٨.

١٠- المرجع السابق ، ص ص ٥٨، ٥٩ .

١١- السيد الحسينى ، التنمية والتخلف : دراسة تاريخية بنائية ، الطبعة الثالثة ، دار قطرى بن

الفحاءة ، الدوحة ، ١٩٨٦، ص ٣٤ .
١٢- أحمد زايد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٧ .
13- Bons , Franz , Anthropology and Modern Life. , 1988 , p. 17 : 19 .
١٤- إيكه هولتكرانس ، قاموس مصطحات الأنثروبولوچيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهرى ، وحسن الشامى ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢، ص ص ١٢١، ١٢٢.
15- Ruth , Bendict , Pattern of Culture , New York , 1965 , 201 .
16- Frederic , Trasher , The Gang Chicago , Universty of Chicago Press , Second Edition , 1993 , pp . 16 : 22 .
17- Hugof , Reading , ADictionary of the Social Sciences, Routledge of Kegan paul , London , 1977 , pp . 204 : 205 .
18- David Davies , ADictionary of Anthropology, Frederick Muller Ltd. , London , 1972, p. 301 .
19- Michael Clarke , "On the Concept of Subculture" , in British Journal of Sociology , 1994 , vol . 28 , p. 591 .
20- Malcolm Spector , "Secrecy in Job Seeking Among Government All Orneys Contingencles in the Theory of Subculture" in Urban Life and Culture vol 1, 2, 1973 , pp. 212 : 229 .
٢١- محمد عباس إبراهيم ، الثقافات الفرعية ، دراسة أنثروبولوچية للجماعات الفرعية بمدينة الإسكندرية ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٧ .
٢٢- علياء على شكرى ، الفولكلور المصرى ومحاولات ڤيتكلر لعمل أطلس فولكلورى مصرى فى كتاب التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوربية ، دار الجيل للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ، ص ص ١١٧ - ١١٨ .
٢٣- المرجع السابق ، ص١٢٠ .

٢٤- محمد الجوهرى ، مرجع سابق ، ص١١٣ .
٢٥- نجوى عبد الحميد ، نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة بمنطقة أسوان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات ، ١٩٨١ .
٢٦- عمر محمد على محمود ، جغرافية العمران الريفى فى محافظة أسوان ، دراسة فى الجغرافية التطبيقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة حلوان ، ١٩٩٩ ، ص١٦٢ .
٢٧- مذكرات إيضاحية ، قانون نظام الإدارة المحلية رقم ٤٣ ، لعام ١٩٧٩، الطبعة السابعة ، مذكرة إيضاحية للائحة التنفيذية وفقا لآخر التعديلات ، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٠ ، ص ص٤١ ، ٤٢ .
٢٨- المجلس المحلى لقرية غرب أسوان ، بيانات المجمع المحلى ، الجدول رقم ١ .
٢٩- عطية أحمد القوصى ، بنى كنز ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ص٣٧ ، ٦٣ .
٣٠- المرجع السابق ، ص ص ٣٧ - ٦٣ .
٣١- السيد حامد ، النوبة الجديدة ، دراسة فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٤ ، ص١٩ .
٣٢- محمد الجوهرى ، مرجع سابق ، ص٤٠ .
٣٣- محمود محمد على الحويرى ، أسوان فى العصور الوسطى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧٣ ، ص٢٥٠ .
٣٤- نجوى عبد الحميد سعد الله ، مرجع سابق ، ص٣٣٠ .
٣٥- المجتمع المحلى ، مرجع سابق ، أرقام الجداول : ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ .
٣٦ - ميشيل حليم شنودة ، الترنشات ، دراسة أنثروبولوچية فى مدن جنوب الوادى وقراه ، ورقة قدمت ضمن أوراق سيمنار الجامعة الأمريكية بالقاهرة بالتعاون مع المؤسسة الأوربية للعلوم بعنوان : « اكتساب الرزق بين الممكن والمستحيل » ، فى الفترة ٢٦ - ٢٨ فبراير ١٩٩٨، ص ١٦.
٣٧- نجوى عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص٣٦١ .
٣٨- المجتمع المحلى ، مرجع سابق ، جدول رقم ١٤ .
٣٩- هناء الجوهرى ، سبل المعيشة المستدامة ، نحو مدخل كلى للتخفيف من حدة الفقر ، ورقة مقدمة إلى الندوة السنوية السادسة المنعقدة فى ٨، ٩ مايو ١٩٩٩ بقسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، بعنوان الفقر فى مصر .. الجذور ، الأسباب ، التداعيات ، وآفاق

المستقبل .
٤٠- المجتمع المحلى ، مرجع سابق ، جدول رقم ١٥ .
٤١- چيمس بيلر ، آثار مصر فى وادى النيل ، الجزء الرابع ، دار الشروق ١٩٩٠ ، ص١٧ .
٤٢- سيد توفيق ، مصر الفرعونية ، ١٩٩١ ، بدون جهة نشر ، ص٢٥ .
٤٣- سليم حسن ، مصر القديمة ، الجزء الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ .
٤٤- نجوى عبد الحميد ، التراث الشعبى كمدخل لتنمية الثقافات الفرعية ، دراسة للنخيل فى مجتمع نوبى ، منشورة فى مجلة المركز الحضارى لعلوم الإنسان والتراث الشعبى ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، ١٩٩٩ ، ص٢٦ .
٤٥- بيوت العالم ، فيلم تسجيلى ، ٢٠٠٠ .
٤٦- عمر محمد ، مرجع سابق ، ٢١٣ .
٤٧- المرجع السابق ، ص٢٢٢ .
٤٨- نجوى عبد الحميد ، مرجع سابق ، ١٩٩٩ ، ص٤٢ .
٤٩- هاريس هارڤن ، الأنثروبولوچية الثقافية ، ترجمة السيد حامد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص٨٦ .
٥٠- عبد الحليم محمود ، سلطان العارفين أبو يزيد البسطامى ، دار الشعب بالقاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٢١ .
٥١- السيد حامد ، الدجرى ، بحث أنثروبولوچى فى المعتقدات النوبية ، منشور فى مجلة المأثورات الشعبية بقطر ، عدد ٢٧ ، يوليو ١٩٩٢ ، ص٤٠ .
٥٢- مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٦٣ .
٥٣- جمال حمدان ، شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان ، الجزء الأول ، عالم الكتب ، ١٩٨٠ ، ص١١٦ .
٥٤- مصطفى مسعد ، مرجع سابق ، ص٣٨ .
55- Allyn and Bacon Acen : Socilogy Experiencing Changing Cociety, printed in the United States , 1992 , p.332 .